أصول منهج البحث العلمي
في القرآن والسنة

ونماذج من تطبيقه في الفكر الاداري الاسلامي

إعداد
د. حنان ابراهيم البخار
أستاذة ادارة الاعمال المساعد
كلية التجارة – فرع جامعة الأزهر للبنات

تقديم

تؤمن وتسلم الباحثة أن الله تعالى أنزل آيات القرآن للناس كافة ليهتدى بها من يشاء ، كل على قدر حاجته وقدرته وجهده . وآيات الله معجزة تحمل الظاهر والباطن ، وتسع كل شيء علما . ولاتستطيع عقول وبحوث كل البشر أن تستوعبها وتستخلص كل مافيها من حقائق، فكيف يتم هذا لعقل فرد باحث مهما كان اخلاصه وجهده .

لذلك لم يكن من السهل التصدى لدراسة أصول منهج البحث العلمى فى القرآن والسنة . وقد استعانت الباحثة بالله – وبما استوعبته من فهم لآيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وتفسيرهما – على اتمام هذا البحث. وكل ماترجوه أن تكون هذه الدراسة محاولة لتوضيح ما آمنت واتبعته بأسلوب علمى . وأن تكون اسهاما فى الجهود المخلصة للعودة الى نبع الاسلام ، حتى يتحقق العلم الصحيح والمشاركة الفعالة

فى الحضارة الانسانية • وبذلك يصدق على المؤمنين حقا قوله تعالى: « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...» (آل عمران — ١١٠) •

وتشكر الباحثة الله تعالى وتحمده على مايسره لها من علم فى هذا البحث ، وما ساقه لها من عون من زملاء مخلصين استفادت من بحثوهم وآرائهم • وتذكر بالفضل منهم — الى جانب من ذكرتهم فى البحث — الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح الدماصى — أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر بالقاهرة — لآرائه القيمة أثناء البحث ، والاستاذ الدكتور / حسن على الشاذلى — أستاذ ورئيس قسم القانون المقارن — كلية الشريعة والقانون بجمعة الازهر بالقاهرة — الذى تفضل بعلمه مشكورا وراجع البحث •

والله ولى التوفيق ،،،

أولا : مقدمة البحث

١ — ١ الاحساس بمشكلة البحث والبحوث السابقة :

يحتاج تأهيل الباحثين وتدريبهم على أسلوب منهج البحث العلمى الى مقرر دراسى يطلق عليه «قاعة بحث» ، أو «بحوث تحت اشراف الأستاذ» • ويدرس هذا المنهج فى السنوات التأهيلية للدراسات العليا أوفى السنوات الأولى للدراسة الجامعية • كما يعتبر منهج البحث العلمى من المحاضرات الأساسية فى البرامج التدريبية التى تعقد للمستويات الادارية المختلفة بجميع تخصصاتها العلمية والعملية فى مراكز التدريب الادارية •

ومنذ بدأت الباحثة فى القاء محاضرات منهج البحث العلمى لحل المشكلات الادارية عام ١٩٧٩ فى الجامعة ومراكز التدريب ، كانت هناك محاولات دائمة لربط الجانب العلمى بما فى المصادر الاسلامية

من حث على العلم وذلك بالاسترشاد بنصوص القرآن والسنة الشريفة ومايؤيدها من آراء أئمة وعلماء المسلمين • وخلال المحاضرات وبعدها كانت تثور تساؤلات عن نواحى القصور فى منهج البحث العلمى المادى، الذى بدأ يتبلور فى الغرب منذ القرن السابع عشر على يد فرانسيس بيكون (*) ، ثم انتقل الينا على أنه أفضل المناهج المتاحة للتوصل الى الحقائق العلمية فى العلوم الطبيعية والانسانية •

وقد أثار انتباه الباحثة أن مستويات أو مصادر المعرفة فى المنهج العلمى المادى ثلاث ، حسية وعقلية وعلمية ، بينما أولى المبادىء فى علم أصول الفقه الاسلامى تبين أن المصدر الأساسى للتوصل الى الأحكام باستخدام هذه المصادر الحسية والعقلية والعلمية هو المعرفة الشرعية من القرآن والسنة • وبناء على ذلك أضيف هذا المصدر فى المحاضرات كمستوى أعلى للمعرفة يشمل كلا من المعرفة الدينية والدنيوية • أى يمدنا بالأحكام التعبدية الغيبية والأحكام التى تخضع لشواهد الواقع ومن ثم تدخل فى صميم خطوات منهج البحث العلمى لحل المشكلات الادارية •

كما أثار انتباه الباحثة كثرة آيات القلب أو الفؤاد فى القرآن الكريم وارتباطها بالتدبر والعقل والنور والعلم ، بما يدعو الى التساؤل عن دور القلب فى مجال منهج البحث العلمى •

من هنا نشأت فكرة وقضية البحث بهدف التوصل الى أصول منهج البحث العلمى الذى ينبع من التعاليم الالهية • وبدأ جمع البيانات والآراء من المصادر المرتبطة بفكرة البحث • وقد كان من أهم هذه المصادر — بعد القرآن الكريم والسنة الصحيحة — احياء علوم الدين للامام الغزالى (١٩ ، ٢٠) ، القرآن ولمنهج العلمى المعاصر للمستشار

(*) فيلسوف واديب انجليزى (١٥٦١ — ١٦٢٦ م) •

محمد عبد الحليم الجندى (١٣) ، الفلاسفة والفكر الاسلامى للاستاذ / محمد أبو حمدن (٧) ، منهج البحث العلمى عند العرب للدكتور / جلال محمد عبد الحميد مرسى (٥١) ، دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاى (٣٣) .

لقد وضح الامام الغزالى (*) فضيلة العلم والتعليم بشواهد من القرآن والسنة ، وبين درجات وأنواع وأدوات العلم ، وضوابط وأخلاقيات العلم والتعليم . كما أفاض فى شرح دور القلب والعقل فى تحصيل العلم الصحيح .

وقد أثبت المستشار انجندى (**) بما توفر لديه من الأدلة استفادة منهج البحث العلمى الذى أسسه بيكون من المنهج الأصولى لعلم الفقه الذى وضعه الامام الشافعى فى مؤلفه «الرسالة» ، والذى استخدمه علماء المسلمين الأوائل فى مؤلفاتهم العلمية العديدة . وقد كان التوجيه القرآنى المصدر الرئيسى لهذا المنهج الأصولى للامام الشافعى . وأوضح المؤلف من خلال عرض نماذج لعلماء الحضارة الاسلامية كيف اتبع هؤلاء العلماء المنهج الأصولى فى البحث وبنوا عليه علومهم النظرية والتجريبية .

وقد عرض الأستاذ / محمد أبو حمدان أهم (***) نظريات المعرفة فى الفكر الانسانى عبر التاريخ . وتوصل من خلال أسلوب جدلى ناقد لهذه النظريات الى أن العقل هو القبس الالهى فى البشر ، وهو النور الذى وضعه الله فى الانسان ليعرف ذاته ويعرف عالمه وبالتالى يعرف خالقه . وأن العقل يصل الى الاحكام العملية عن طريق احساسه بالواقع مع ربطه بالمعلومات السابقة التى أودعها الله فيه . وهذه

(*) فقيه عربى صوفى ومصلح دينى واجتماعى (١٠٥٦ — ١١١١ هـ)
(**) عالم مصرى معاصر .
(***) أستاذ فلسفة عربى معاصر .

المعلومات السابقة هى العلم الأول الذى يشعل فتيل العقل فينطلق يبحث ويجرب ويكتشف ويتعلم . وتأتى تعاليم السماء على يد الأنبياء والرسل لتصحيح مسار العقل ومساعدته فى كل محاولاته لمعرفة نفسه وعالمه وخالقه .

وقد تعرض الدكتور جلال مرسى (*) فى رسالته للحصول على درجة الدكتوراة لدراسة أعمال أشهر علماء العرب فى العلوم الطبيعية والكونية . وقد توصل من الدراسة الى أن هؤلاء العلماء ساروا فى بحوثهم على الطريقة العلمية الحديثة . واستخدام بعضهم المنهج العلمى التجريبى بمفهومه المعاصر ، وان لم يفردوا له أبحاثا خاصة كما فعل المحدثون من علماء الغرب . وقد كشف الدكتور / جلال مرسى عن أن منهج هؤلاء العلماء كان الاستقراء والقياس ، الاستقراء من أمور متيقنة فى الخبرة تميز وتفحص وتستقصى بالتجربة ثم يستقر حكمها العام . وقياس يتخذ فيه ذلك الحكم المستقرأ مقدمة كبرى تستنبط منها نتائج ينظر الى مطابقتها للواقع . وبذلك يكون هؤلاء العلماء — كما يستنتج الباحث — قد تنبهوا الى عقم المنهج اليونانى الأرسطى الذى كان القياس الصورى أداته حيث يبدأ بمقدمات عامة وينتهى الى نتائج جزئية ويقيم البرهان على حقائق معلومة ، ولا يكشف عن حقائق جديدة . وقد أدى ذلك بعلماء العرب الى البحث عن منهج آخر يمكن من كشف الجديد ولا يقف عند ما هو معلوم . وقد وجد الباحث أن هذا المنهج قد نشأ فى دوائر علماء المتكلمين والأصوليين فى علوم الشريعة الاسلامية ثم انتقل الى العلماء التطبيقين ، أى أنتقل من مرحلة النظر والفكر الى التطبيق والتجريب .

وقد استخلص موريس بوكاى (**) من دراسته للكتب المقدسة

(*) عالم مصرى معاصر .
(**) طبيب فرنسى معاصر .

ـ التوراة والانجيل والقرآن ـ نتيجة أساسية وهى أن القرآن يدعو الى المواظبة على الاشتغال بالعلم ، وأنه يحتوى على تأملات عديدة خاصة بالظواهر الطبيعية بتفاصيل توضيحية تتفق تماما مع معطيات العلم الحديث ، وليس هناك مايعادل ذلك فى التوارة والانجيل. وقد كان الدافع وراء هذه الدراسة ـ كما يوضح الباحث ـ ما أظهره تطور العلم من خلاف بين نصوص التوراة والانجيل وحقائق العلم الحديث • وهو يعرف حقائق العلم بأنها كل ماثبت بشكل نهائى بعد استبعاد كل نظريات الشرح والتبرير • ونتيجة لهذا الخلاف ظهر هذا الوضع الخطير الذى جعل مفسرى التوراة والاناجيل يناصبون العلماء العداء • وقد قرر الباحث صراحه أنه لايمكن أن نقبل رسالة الهية منزلة تنص على واقع غير صحيح بالمرة • (٣٣ ، ص ١١) • ومن هنا نشأ الانفصال بين الدين والعلم فى الحضارة الغربية •

ويوضح موريس بوكاى أن الفرق الجوهرى بين المسيحية والاسلام فيما يتعلق بالكتب المقدسة هو فقدان نصوص الوحى الثابت لدى المسيحية ، فى حين أن الاسلام لديه القرآن الذى هو وحى منزل وثابت معا • واذا كانت بعض الأحاديث النبوية فى الاسلام فيها مايشبه بعض الأقوال فى الأناجيل ، فان النقاش مازال يدور بين علماء المسلمين حول صحة هذا الحديث أو ذاك • أما بالنسبة للأناجيل المتعددة فقد أعلنت الكنيسة رسمية أربعة أناجيل فقط منها ، وأخفت الأخرى التى تعتبرها مزورة برغم التناقضات فى كثير من النقاط فيما بين الأناجيل الأربعة المعترف بها • (٣٣ ـ ص ١٠) •

وقد قرر بوكاى فى نهاية بحثه أنه ، «بفضل الدراسة الواعية للنص العربى (*) للقرآن استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها

(*) يقول موريس بوكاى فى كتابه ، (ص ١٤٤) : « عندما استطعت قياس المسافة التى تفصل حقيقة الاسلام عن الصورة التى اختلقناها فى بلادنا الغربية شعرت بالحاجة الملحة لتعلم اللغة العربية

أن القرآن لايحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث .... وأن الاسلام أعتبر دائما أن الدين والعلم توءمان متلازمان» (٣٣ ـ ص ١٣ ، ١٤) •

١ ـ ٢ أهمية البحث :

لاحظت الباحثة تزايد أهتمام وتفهم الدارسين لمادة منهج البحث العلمى فى حل المشكلات الادارية اذا ما أرتبطت بالمعرفة الدينية وموقف الانسان من الحياة الآخرة • وقد أختلف الدارسون بداية فى تجاوبهم وقدرتهم على أستيعاب منهج البحث العلمى والمفاهيم المطروحة فيه • فقد كان التجاوب والفهم أوضح وأعلى بالنسبة لطلبة الدراسات العليا وفى مستويات الادارة الوسطى والعليا • أما فى المستويات الاشرافية المباشرة فقد كانت مشاكل المتدربين فى عملهم تستغرقهم بدرجة لايستطيعون معها فهم التعميمات فى المناهج العلمية • بل كانوا يطلبون أن تقدم المحاضرة حلولا لمشكلاتهم الادارية ولايصبرون على الوقت الذى يبذل لتعلم المنهج العلمى ، لحل مشاكلهم بأنفسهم •

ومن هذه الملاحظات كان المدخل الأساسى المحاضرة ـ لاثارة أهتمام وتجاوب الدارسين هو الربط بين منهج البحث العلمى والصورة الأولى لمشكلة الأنسان على الارض ، والتى جاءت فى نصوص الآيات القرآنية التى يخاطب بها الله تعالى آدم فى سورة طه (١١٧ ـ ١٢٦) :

«فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى • ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى • وأنك لا تظمأ فيها ولاتضحى • فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى • فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى • ثم اجتباه ربه فتاب

التى لم اكن اعرفها ، وذلك حتى اكون قادرا على التقدم فى دراسة هذا الدين الذى يجهله الكثيرون » •

عليه وهدى • قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولايشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى • قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا • قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» •

فهذه الآيات توضح أن شقاء الانسان فى هذه الحياة هو فى ابتعادة عن الله تعالى ، وفى مسئوليته عن اشباع حاجاته التى كانت مكفولة له فى الجنة وصراعه بين الحق والباطل فى تحقيق هذه الحاجات، وأن سبيل الانسان الى تحقيق مسئوليته وتخفيف شقائه وصراعه يكون باتباع هدى الله وطاعته فيما وضعه له من منهج للعبادة وللحياة، وكل ذلك متروك لاختيار الانسان فان شاء أخذ بهدى الله وان شاء تركه ، وعليه تقع مسئولية وتبعه هذا الاختيار •

ولقد ازداد ايمان الباحثة واقتناعها من خلال هذه المحاضرات أننا كشعوب مؤمنة برسالات السماء لانتحمل التناقض والصراع بين الدين والعلم بل نريد منهجا متكاملا ينسق بينهما فى كيان واحد يعمل بهدف واحد • هذا المنهج هو أن يكون عملنا فى الدنيا متسقا ومتكاملا مع عبادتنا لله • وأنه بدون هذا المنهج لن نستطيع استيعاب علوم الحضارة الغربية مهما كان مافيها من مزايا وفوائد ظاهرية تحقق لنا اشباع حاجاتنا المادية • ومن ثم فنحن غالبا لانشارك فى بناء هذه العلوم • وفى حالات المشاركة القليلة نتبع أسلوب الفصل بين العلم والدين مسترشدين بما وضعه لنا الغرب من منهج للبحث العلمى فى العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية •

ولقد تأكد اقتناع الباحثة بضرورة وأهمية اتمام هذا البحث بما أبداه الدكتور زكى نجيب محمود (*) من تأكيد على أهمية الدين

(*) عالم وفيلسوف مصرى معاصر •

للخروج من تخلفنا واللحاق بركب الحضارة ، وهو الذى اشتهر بالدعوة دائما الى اتخاذ المنهج العلمى أسلوب حياة • أنه يقول فى كتابه «هذا العصر وثقافته» : «اننى مؤمن أشد الايمان بأن نهوضنا بعد الكبوة الحضارية التى طال بنا عهدها — وأعنى نهوضنا الذى يتيح لنا أن نسير مع سائر الدنيا سير الشركاء لاسير الاتباع — لايتحقق الا اذا جاءت الحوافز من الدين والوسائل من العلم» • (٤٩ — ص ٢٣٩)•

كما يوضح ما يطلبه من الباحث فى هذا المجال بقوله «••• أن تبصرنى بالطريق الذى أعرف منه كيف آخذ من الدين حافزا يحرك الارادة الى «صنع» علم جديد أقدمه لنفسى وللانسانية» • (٤٩ — ص ٢٤٢) •

كما يعلق الدكتور / زكى نجيب محمود فى كتابه السابق على ما جاء فى آخر مؤلفات آرنولد توينبى (*) «الانسان وأمه الارض» من أنه قد آن للحضارة العصرية أن توقف وثبات العلم عن جبروتها بأن تعيد للدين قوته الأولى فى نفوس البشر ليكون العلم الى جانب الدين قوتين تحدثان التوازن المطلوب ، يعلق متسائلا : «لماذا لانترك أصحاب العبقرية النابغة فى وجهتهم نحو ميدان العلم كما هى الحال الآن مع اضافة الروح الدينية ليحيا الانسان بجناحين كما أراد الله له تعالى ان يحيا • فليس الأمر هو اما هذا واما ذاك ، بل الأمر هو الجمع بين هذا وذاك فى كيان انسانى واحد •» (٤٩ — ص ٢٧ ، ٢٨)

وفى مقال آخر فى كتاب «هذا العصر وثقافته» عنوانه «حوافز التقدم» ، يعرض الدكتور / زكى نجيب بحثا فى العلاقات الاجتماعية قام به الأستاذ ماكليلاند بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية توصل فيه الى أن العامل الرئيسى للتقدم هو « الفيروس

(*) مؤرخ ومصلح انجليزى (١٨١٩ — ١٩٧٢م)

العقلى» الذى ينشأ من مواد القرءة السابقة التى تبعث على الأمل والعمل بما ينشىء علاقات اجتماعية تجعل الفرد يعمل من أجل نفسه ومن أجل سواه فى آن واحد • وأستعرض الباحث للتديل على صحة نتائجه حضارة اليونان فى القرن السادس قبل الميلاد ، وحضارة انجلترا فى القرن السادس عشر ، وما هو مشاهد من الحضارات الحديثة فى القرن العشرين • فالمادة الدراسية التى يطالعها الناشئون فى المدارس أو غيرها فى الفترة التى تسبق الازدهار بنحو عشرين عاما هى التى تجعلهم يتميزون كرجال حكم وتجارة وصناعة وعلوم وفنون وآداب • (٤٩ — ص ٨٧ — ٩١) •

وبرغم أن الباحث لم يذكر فى أدلته الحضارة العربية الاسلامية، الا أننا يمكن أن نقرر بنفس منطقة أنها نتاج ما سبقها من دعوة ايمانية تحث على التأمل والتفكر والعلم والعمل لتحقيق مصلحة الفرد والجماعة بل والحضارة الانسانية بوجه عام ، وهذا مايميز الشريعة الاسلامية • كما يمكن أن نضيف لبحث الأستاذ ماكليلاند أن العامل الرئيسى للتقدم ليس «فيروسا عقليا» ، وانما هو ايمان كلى وتوجيه الهى • وهو ليس مجرد حافز لاثبات التفوق وتحقيق الذات أو نتيجة لقوة العلاقات الاجتماعية فحسب ، بل هو عقيدة راسخة الايمان بقدرة الهية ومنهج الهى كامل للحياة الدنيا والآخرة • وهذا هو الاختلاف بين المنهج المادى البحث العلمى والمنهج النابع من التوجيهات الالهية الذى نحاول التوصل اليه فى هذا البحث •

والخلاصة أن أهمية هذا البحث تنشأ من أنه لاانفصال ولاتعارض بين الدين والعلم فى الاسلام • فليس صحيحا أن العلم والدين قوتان منفصلتان كما يرى توينبى والفكر الغربى بصفة عامة ، أو أنهما توءمان كما يرى بوكاى • كما أن العلاقة بينهما ليست مجرد حوافز من

الدين ووسائل من العلم كما يطالب الدكتور زكى نجيب محمود ، بل هما فى الشريعة الاسلامية مرتبطان تماما يقويان معا ويضعفان معا •

فاذا كان النموذج الذى وضعه الفكر الغربى للمعرفة الدينية والمعرفة العلمية هو الدائرتين المنفصلتين ، فان النموذج الصحيح الذى يتفق مع منهج الاسلام هو الدائرتين متحدتى المركز • حيث تكون دائرة المعرفة الدينية بما فيها من معارف تعبدية ودنيوية أوسع من دائرة المعرفة العلمية ولكن النبع (المركز) واحد • وبحيث يظل التفاعل بين معطيات الدين وتحقيقات العلم عملية مستمرة يتحقق منها تقدم الحضارة الانسانية • وبقدر اجتهاد العلماء فى تحقيق معطيات المعرفة الدينية يتسع محيط دائرة العلم ، ولكنه لن ينطبق على محيط دائرة الدين أو يتعدى حدودها •

وهذا النموذج الذى يوضح تكامل الدين والعلم مع شمول معطيات الدين نستمده من قول الحق سبحانه وتعالى :

«••• ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء •••» (النحل — ٨٩)•

«••• مافرطنا فى الكتاب من شىء •••» (الانعام — ٣٨) •

«سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق •••» (فصلت — ٥٣) •

«••• وفوق كل ذى علم عليم•» (يوسف — ٧٦) •

١ — ٣ تحديد مشكلة البحث •

مما سبق تحدد مشكلة البحث فى محاولة استخلاص أصول منهج البحث العلمى من القرآن والسنة النبوية على أساس أنه المنهج المتكامل للمعرفة العلمية بصفة عامة وفى الفكر الادارى بصفة خاصة•

١ — ٤ خطة البحث •

تستخدم فى البحث طريقة الاستقراء لآيات القرآن الكريم

والأحاديث الشريفة ، مع الاستفادة بشروح واجتهادات أئمة وعلماء المسلمين ، لاستخلاص عناصر ومقومات أصول منهج البحث العلمي، ثم مناقشة وتحليل النتائج لاثبات تكامل المنهج العلمي الاسلامي وقدرته على معالجة أوجه القصور فى المنهج العلمى المادى كما يطرحها علماء العصر الحديث مع ذكر نماذج استرشادية من تطبيق هذا المنهج فى الفكر الادارى الاسلامى .

ثانيا : عناصر منهج البحث العلمى فى القرآن والسنة

٢ — ١ المصادر الالهية فى المعرفة الانسانية .

يقصد بالمصادر الالهية فى المعرفة الانسانية كل ما وصل الى البشر من رسالات سماوية بطريق الأنبياء والرسل . وقد ختمت هذه الرسالات بالشريعة الاسلامية التى جاءت بمصدرين رئيسين تستمد منهما الاحكام الشرعية وهما كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . والباحث يجد فى هذين الاصلين كل المصادر الالهية فى المعرفة الانسانية حيث يقول تعالى : « وقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » . (الاعراف — ٥٢)، « وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى » (النجم — ٣ ، ٤) ، « من يطع الرسول فقد أطاع الله ... » (النساء — ٨٠) ، « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » . (الاحزاب — ٢١) .

ومع التسليم بأن القرآن والسنة ليسا نصوص علم بالمعنى الاصطلاحى للعلم ، أى تفسير واثبات قوانين وأحكام الظواهر الطبيعية والانسانية ، الا أن هدفهما الدينى والدنيوى يتحقق من خلال منهج يدعو الانسان الى العلم باستخلاص هذه القوانين والأحكام ليتعرف بها على خالقه وليعمل بها فى دنياه . فالعلم أول الدين لأن الله لايعبد الا بالعلم ، كما أن العبادة هى عمل للدنيا والآخرة .

وقد تعبر هذه النصوص بأحكام قاطعة وصريحة عن هذه الظواهر، وقد ترمز اليها باشارات تحتاج لمزيد من البحث والتقصى للتوصل الى الحقيقة العلمية المتضمنة فى هذه النصوص .

يقول الامام على رضى الله عنه (*) « وان القرآن ظاهره أنيق ، وباطنه عميق لاتفنى عجائبه ولاتنقضى غرائبه ولاتكشف الظلمات الا به ... انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظه ، وأقبلوا نصيحة الله .. واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذى لا يغش والهادى الذى لايضل والمحدث الذى لايكذب . وماجالس هذا القرآن أحد الا قام عنه بزيادة أو نقصان : زيادة فى هدى ، أو نقصان فى عمى .. فكونوا من حرثته وأتباعه وأستدلوه على ربكم ، واستنصحوه على أنفسكم ، واتهموا عليه آراءكم ، واستغشوا فيه أهواءكم » . (١٥ — ص ١٠٩ ، ص ص ٣٧٥ — ٣٧٧) . ومعنى العبارتين الاخيرتين كما يشرحهما الامام محمد عبده (**) أنه اذا خالفت آراؤنا القرآن فلنتهمها بالخطأ ونظن فيها الغش ، ونرجع الى الرأى الصحيح الذى نجتهد فى استخلاصه من الأدلة القرآنية .

وفى الحديث الشريف : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ، (ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين) ، (ان الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب) (٢٨ ص ٢٨١ ، ٢٨٢) .

وتصرح آيات كثيرة من القرآن الكريم بأن الله هو مصدر العلم للانسان كنوع وللأنبياء كمعلمين ومرشدين للبشر . كما أن الآيات صريحة فى أن الله تعالى هو الذى يعين الانسان على العلم الصحيح والتفرقة بين الحق والباطل اذا آمن به واتقاه ، واستعان بآياته فى

(*) رابع الخلفاء الراشدين (٥٩٨ — ٦٦١م) .
(**) مصلح ومجدد اجتماعى اسلامى (١٨٤٥ — ١٩٠٥ م) .

دينه ودنياه • وأن من يعرض عن آيات الله فهو الخاسر فى الدنيا والآخرة • ومن هذه الآيات العديدة نسوق الأمثلة الآتية :

«الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان • علمه البيان •» (الرحمن — ١ — ٤) •

«اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان مالم يعلم • » (العلق ١ — ٥) •

«وعلم آدم الأسماء كلها ••» (البقرة — ٣١) •

«••• وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم •••» (النساء — ١١٣ •

«••• ويعلمك من تأويل الأحاديث •••» (يوسف — ٦) •

«••• وقال (*) يا أيها الناس علمنا منطق الطير ••• » (النمل — ١٦) •

«•• ففهمناها سليمان وكلا (**) آتينا حكما وعلما ••» (الأنبياء — ٧٩) •

« فأوحينا اليه أن أصنع الفلك بأعيننا ووحينا ••• » (المؤمنون — ٢٧) •

«••• ولايأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ••» (البقرة — ٢٨٢)•

«وعلمنا (***) صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم ••» (الأنبياء — ٨٠) •

(*) النبى سليمان •
(**) سليمان وداود •
(***) داود •

«••• وقل رب زدنى علما•» (طه — ١١٤) «••• ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ••» (الانفال — ٢٩) •

«يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة •••» (ابراهيم — ٢٧) «ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ••» (الاسراء — ٩) •

«الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ••• » (البقرة — ٢٥٧) •

«••• سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون» (لأنعام — ١٥٧) •

«ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شىء جدلا» (الكهف — ٥٤) •

فكل هذه الأمثلة من أنواع العلم تؤكد أن الله سبحانه وتعالى هو مصدر العلم وهو واهبه للانسان • ويكتشف الانسان هذا العلم ويتوصل الى جزيئاته بسعيه كل على قدر جهده وقدراته ، وبمداومة التحقق من اكتشافاته العلمية ومراجعة تفسيراته للنصوص الالهية •

٢ — ٢ الحق والحقيقة :

الحق ضد الباطل ، ومن تحقق عنده الخبر صح ، ومن حقق قوله وظنه فانه يصل الى صدقة • (١٤ — ص ١٤٦ ، ١٤٧) • والحقيقة هى مطابقة بين وجه الحق وما يتعرف عليه الانسان من الواقع الموجود له فيصدق لديه ، وبذلك يقال للمعقول الذى صادق به الفعل الموجود حتى طابقه أنه حق ، فهو من حيث ذاته يسمى موجودا ، ومن حيث اضافته للعقل يسمى حقا • (٢١ — ص ١١٢) •

والحقيقة العلمية هى مطابقة الفكر للواقع حيث تصدق أحكام العقل بقدر مالها من وقائع تبرهن عليها • (٧ — ص ١٧) • أما الحقيقة المطلقة فهى التى يتلاقى فى مضمونها عالم المعتقد وعالم الفكر وعالم الواقع أى الدين والفلسفة والعلم (٦ — ص٥) • وبذلك يكون الحق الموجودات هو الله تعالى ، فانه حق فى نفسه أى مطابق للمعلوم أزلا وأبدا وهو الحق مطلقا (٢١ — ١١٣) •

والحق اسم من أسماء الله الحسنى ، كما أنه الاساس الذى تسير عليه السنن الكونية • وهو السر وراء كل الظواهر التى خلقها الله تعالى • كذلك يذكر الحق فى أيات القرآن كنقيض للباطل والادعاء والتناقض والهوى كما يقول تعالى فى هذه الآمثلة من الآيات :

١/٢/٢ « فذاكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون» (يونس — ٣٢) ، «فتعالى الله الملك الحق ...» (طه — ١١٤) ، «ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه هو الباطل ..» (الحج — ٦٢) •

هذه الآيات تؤكد أنه لايمكن أن يتعارض العلم ومنجزاته مع الدين ومعطياته فالحق يعلو على كل ما عداه وليس بعد الحق الاالضلال والباطل • والله تعالى هو الحق المطلق وهو الموجود الحقيقى بذاته الذى يأخذ منه كل شىء حقيقته •

٢/٢/٢ « وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ... » (الأنعام — ٧٣) •

«ولو أتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ..» (المؤمنون — ٧١) •

«قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض ...» (الفرقان — ٦) •

نفهم من هذه الآيات أن الحق هو كل ماوضعه الله تعالى من سنن فى السموات والارض وما فيهن من خلائق • وأن السنن هى السر الكامن وراء كل الظواهر الكونية التى يعمل الانسان جاهدا للتوصل الى اكتشافها •

٣/٢/٢ « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل•» (يونس — ١٠٨) •

«قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون•» (يونس — ٣٥) •

«أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا•» (النساء — ٨٢) •

«الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا•» (الكهف — ١) •

باتباع هدى الله يتوصل الانسان الى فهم حقائق الأشياء كما وضعها الله فى صورة متكاملة لما خلقه ، وليس كما يظنها الضالون الذين تختلف الحقائق لديهم باختلاف أهوائهم فيضلون أنفسهم ويضلون غيرهم بعلمهم بغير الحق ، والشكر واجب لمن أنزل هذا الحق الذى لانحراف فيه •

٤/٢/٢ « ... والله لا يستحى من الحق ... » (الاحزاب — ٥٣) • وفى الحديث (لا يتعلم العلم مستحى ولا مستكبر) (١٢ — ص ١١٠) • فالآية وتفسيرها من الحديث ترفع الحرج عن البشر فى كشف حقائق العلم وتعلمها فلا يستحون منها ولايستكبرون عليها ، بل يمتثلون لما فيها وبذلك يتحقق العلم الصحيح •

٢/٢/٥ « لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون » • (الزخرف — ٧٨) •

«ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون •» (البقرة — ٤٢) •

«ومايتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لايغنى من الحق شيئا ••» (يونس — ٣٦) •

«••• وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون • الحق من ربك فلا تكونن من الممترين •» (البقرة — ١٤٦ ، ١٤٧) •

«فاصبر ان وعد الله حق •••» (غافر — ٥٥) •

«والعصر • ان الانسان لفى خسر • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصلوا بالحق وتواصلوا بالصبر » • (سورة العصر) •

«وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون •» (السجدة — ٢٤) •

توضح هذه الآيات أن بلوغ الحق يحتاج الى كثير من الصبر وذلك بسبب التباسه بالباطل أو الظن أو بسبب كتمانه أو الشك فيه • كما أن كثيرا من الناس يقاومون الحق ويكرهونه عندما يتعارض مع أهوائهم •

٢/٢/٦ « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كسجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون • ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار • يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء •» (ابراهيم ، ٢٤ — ٢٧) •

«أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا

رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال• » (الرعد — ١٧) •

«وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا •» (الاسراء — ٨١) •

ذكر القرآن مثالين لتوضيح أن الحق يلتبس بالباطل بين الناس، ولكن الحق هو الذى يبقى لما فيه من نفع وخير • فكلمة الحق — وهى العلم النافع — كشجرة طيبة نافعة ضاربة بجذورها فى الأرض ، وفروعها — أى مايتولد منها من علم وهدى — متجهة الى السماء دليل صدقها وقبولها عند الله • كما أن الحق الذى أنزله الله تعالى للبشر كالماء الذى أنزل من السماء ليروى الأرض ، ولكنه يلتبس بالباطل مثل الزبد الذى يتكون فوق الماء • كذلك العلم الدنيوى النافع فى المهن والصناعات المختلفة يختلط بالعلم الفاسد الذى يشبه الخبث فوق المعادن عند صهرها ، والذى يجب أن يزال ليبقى ماهو ذو فائدة منها• أما كلمة الباطل — وهى العلم الفاسد — فهى كشجرة خبيثة يقتلعها الناس لعدم نفعا لهم •

والله تعالى هو الذى يهدى المؤمنين فى علمهم وقولهم ، ويثبتهم على كلمة الحق فى دنياهم وآخرتهم ، أما الظالمون لأنفسهم الذين لايتبعون طريق الحق فان الله تعالى يضلهم بظلمهم ولا يكون لعلمهم وكاماتهم الباطلة استقرار بين الناس •

٢ — ٣ النور الكاشف للحقائق :

النور اسم من أسماء الله الحسنى ومن صفاته تعالى • وتعنى هذه الصفة لله أنه هو الظاهر الذى به كل ظهور ، فهو النور الظاهر بنفسه المظهر لغيره • وبذلك يكون الوجود نورا فائضا على الأشياء

كنها من نور ذاته ، فكما أن لاذرة من نور الشمس الا وهى دالة على وجود الشمس المنيرة ، فلا ذرة من موجودات السموات والأرض ومابينهما الا وهى بجوار وجودها دالة على وجود الله الذى أوجدها (٢١ — ص ١٣٩) . كما يذكر النور فى القرآن الكريم كمرادف لكلمات الحق والايمان والعلم أو كنتيجة لهما ، بمعنى تبصر وتعقل الانسان أى خروجه من ظلمات الجهل الى نور المعرفة ومن أمثلة آيات النور فى القرآن نستخلص العناصر الآتية :

١/٣/٢ « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم . » (*) (النور — ٣٥) .

هذه الآية تقرر أن الله نور السموات والأرض المظهر لكل حقائقها ، ويتم انكشاف هذه الحقائق للانسان باستخدامه لكل ماخلقه الله فيه من حس وتذكر وتعقل وتدبر والهام . وقد أورد الله تعالى فى مثال المشكاة مايثير روح الانسان للعلم والمعرفة عن طريق الاتصال بنوره تعالى .

٢/٣/٢ « .. جاءتهم رسلهم بالبينات والزبر وبالكتاب المنير» (فاطر — ٢٥) .

«... قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ...» (الأنعام — ٩١) .

(*) استعان د . زكى نجيب محمود فى مقالة « الشجرة المباركة » بالاهرام (١٩٨٨/٣/٢٩) — لتوضيح كيف يبدع الانسان عندما يتصل بدرجات النور الالهى — بتفسير الامام الغزالى لهذه الآية فى كتابه مشكاة الانوار — تحقيق د . أبو العلا عفيفى ، ١٩٦٠ .

«... وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ...» (المائدة — ٤٦) .

«فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا ...» (التغابن — ٨) .

«... قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور ..» (الرعد — ١٦) .

توضح هذه الآيات أن الله تعالى وضع فى كتبه المنزلة على أنبيائه مايضىء طريق العلم للبشر ، ويعينهم ويحثهم على الاتجاه نحو نور العلم ، والتخلص من ظلمات الجهل .

٣/٣/٢ « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ...» (الانعام — ١٢٢) .

«... قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم . » (المائدة — ١٥ — ١٦) .

«ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين (*) من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ...» (الحديد — ٢٨) .

«... يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ...» (التحريم — ٨) .

تبين هذه الآيات أن القرب من الله تعالى بتقواه واتباع تعاليمه يمنح الانسان نورا يوضح له الحقائق كما وضعها الله ، فيسير مطمئنا الى صحة ماعلمه واثقا من غايته . كما توضح الآية الأخيرة أن للنور درجات يترقى فيها الانسان بعون الله .

٤/٣/٢ « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . » (التوبة — ٣٢) .

(*) كفلين : نصيبين فى الدنيا والآخرة .

«ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير ٠» (الحج — ٨) ٠

نستخلص من هذه الآيات أن كثيرا من أدعياء العلم يحاولون طمس حقائق الأشياء بالجدل الذى لايستند الى أدلة من الواقع أو هدى من الله أو نصوص من آياته ولكن نور الله يظهر الحقيقة دائما ويقضى بفشل هؤلاء الأدعياء المضللين ٠

٢/٣/٥ « ٠٠٠ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » ٠ (النور — ٤٠) ٠

« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم٠ » (الشورى — ٥٢) ٠

ليس لبشر أن يدعى العلم بقدرة ذاتية له — ولو كان نبيا ٠ أوأن يظن أنه فى غنى عن نور الله الذى يمكنه من العلم الضرورى للنجاح فى الحياة الدنيا والآخرة ٠

٢ — ٤ الميزان :

يقول تعالى :

«الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان ٠٠٠» (الشورى — ١٧)٠

«والسماء رفعها ووضع الميزان ٠ ألا تطغوا فى الميزان ٠ وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان ٠» (الرحمن ٧ — ٩) ٠

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ٠٠٠ » (الحديد — ٢٥) ٠ « والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون » ٠ (الحجر — ١٩) ٠

«انا كل شىء خلقناه بقدر٠ » (القمر — ٤٩) ٠

«٠٠٠ وكل شىء عنده بمقدار ٠» (الرعد — ٨) ٠

«يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ٠٠٠» (النساء — ١٣٥) ٠

«قل أمر ربى بالقسط ٠٠٠» (الأعراف — ٢٩) ٠

من هذه الآيات نفهم أن :

١/٤/٢ الميزان هو الذى يقاس به الحق والعدل ، وهو الذى أقام به الله تعالى كل مافى الكون ٠ ويعطينا الله المثل الأعلى على أنه خلق كل شىء بقدر حتى يتم التوازن فى الكون بين جميع صور مخلوقاته ٠

٢/٤/٢ البشر مطالبون باتباع سنة الله فى خلقه ٠ فتقدير الأشياء على حقيقتها لايتم الا باستخدام المقاييس المناسبة سواء كانت مقاييس ملموسة أو تقديرات عقلية ٠ وبهذه المقاييس يتمكن الانسان من التوصل الى الأحكام الصحيحة والنتائج المطابقة لحقائق الأشياء وبذلك تتكون العلوم المفسرة لظواهر الكون وقوانينه ٠

٣/٤/٢ تعقل الانسان وفهمه للموازين والمقادير والمقاييس التى أوردها القرآن فى آيات الخلق والتقدير يربى فيه ملكه التقدير الصحيح والعدل فى حكمة على الأشياء ٠

ويوضح ذلك ما أستخلصه ابن تيمية (*) من آيات الميزان بأنها القياس القرآنى المنزل الذى يتعرف به صحيح الفكر من باطله ويزن الأمور سواء كانت حسية أو عقلية (١٣ ص ٩٣) ٠

ويربط أيضا جابر بن حيان (**) — الذى يطلق عليه امام

(*) فقيه عربى (١٢٦٣ — ١٣٢٨ م) ٠

(*) طبيب وكيميائى عربى ، أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الميلادى ٠

التجريبيين — معنى الميزان بالعقل والعلم ، فهو يرى أن العلة الأولى هى العقل ، والعقل هو العلم ، والميزان هو العلم (٤٨ ص ٧٩) . أى أن الميزان هو عقل للاشياء يتحقق به العلم الدقيق .

٢ — ٥ التـــــذكر :

يسمى القرآن بالذكر : «... وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون . » (النحل — ٤٤) «... فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون . » (الأنبياء — ٧) . فالقرآن يذكر ، والرسول وأهل العلم الحق يبينون ما أنزل فيه ليتفكر الناس ويتذكروا ماعلمهم الله فيتحقق لهم بذلك العلم المتوافق مع الحق ، سواء كان هذا العلم من أمور الدنيا أو الآخرة . وبعرض أمثلة للآيات الخاصة بالتذكر يمكن أن تتضح لنا أبعاد هذا العنصر فى منهج البحث العلمى :

١/٥/٢ « كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين » . (الاعراف — ٢) . « لذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر » . (الغاشية — ٢١ ، ٢٢) . « لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » (الانبياء — ١٠) .

تبين هذه الآيات أن مهمة الرسل . وكذلك من يقوم بدورهم فى التعليم والارشاد — هى تذكير الناس بما أنزل اليهم ومساعدتهم على العلم به مهما كانت المشقة فى هذا التبليغ . وتثير المعلومات المنزلة فى آيات الله الذاكرة التى فطر عليها الانسان وما طبع فيها من معلومات أولية فيؤمن ويصدق بالغيب مالا يراه ببصره ، كما يعقل ويتحقق مما يواجهه فى واقعه ، وبذلك يتمكن من العبادة على بصيرة ومن اكتساب العلوم عن تحقق عقلى أو تجريب عملى .

وتذكر الحقائق التى ساقها الله لعباده فى آياته يعتمد على متلقى التذكرة ودرجة استعداده لتقبلها والانتفاع بها . فلا سيطرة لعقل على آخر بل هى ارادة الانسان وحرية اختياره التى تمكنه من تحقق

العلم لديه . وبذلك لايحقق التلقين والتقليد علما حيث لايتم فيهما عمليات التفكر والتذكر والمطابقة مع ما فطر عليه الانسان من علم صحيح .

٢/٥/٢ « ... قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر أولو الألباب . » (الزمر — ٩) .

«كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب . » (ص — ٢٩) .

فى هذه الآيات وأمثالها نجد التفرقة واضحة وصريحة بين من يتذكر ويعلم ومن لايتذكر فلايعلم ، بمعنى تميز أهل العلم الذين يتفكرون ويعقلون آيات الله .

٣/٥/٢ « أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولو الالباب » . (الرعد — ١٩) .

«ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . » (ق — ٣٧) .

«لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية . » (الحاقة — ١٢) .

«والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا . » (الفرقان — ٧٣) .

فى مثل هذه الآيات نتبين أن التذكر من آيات الله المذكرة للانسان لا يتم تلقائيا بل بالاهتداء اليها قلبا والملاحظة الواعية لها سمعا وبصرا والتدبر فيها عقلا والتحقق منها تجريبا وبذلك يتم التذكر محققا بالبحث والدراسة الواعية للحقائق التى تطرحها الآيات .

٤/٥/٢ « ... واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا . » (الكهف — ٢٤) الله تعالى هو الذى وضع حقائق الأشياء وبعونه تقل المشقة فى تذكر المعلومات فى صورتها الصحيحة .

٢/٥/٥ « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون »
(الأعراف — ٢٦) •

«وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون »
(الأنعام — ١٢٦) •

«ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا »
(الاسراء — ٤١) •

«••• ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون •» (البقرة — ٢٢١) •

هذه الآيات ومثلها كثير فى القرآن الكريم توضح أن الله تعالى يسوق الآيات (الأدلة) لتعين الناس على الحياة الصحيحة بلا مشقة • فتذكر الحق فى آيات الله يمنح الانسان لباس العلم والايمان بما ينمى فضائله ويستر سوءاته • وقد يتذكر بعض الناس فيهتدون الى منهج الله ، وقد لايلتفت البعض الآخر اليه بل قد ينفرون منه •

وفى الحديث الشريف : (مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب (أى لاتنبت) أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى انما هى قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به) (١٢ — ص ٧٥) •

٦/٥/٢ « والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج • تبصرة وذكرى لكل عبد منيب• » (ق — ٧ ، ٨)•

«هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا ومايتذكر الا من ينيب• » (غافر — ١٣) •

«وهو الذى جعل اليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر •••»
(الفرقان — ٦٢) •

«ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون• » (الواقعة — ٦٢)•

«ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون •» (الذاريات — ٤٩)•

هذه الآيات وأمثالها اشارة ودعوة للبحث والمعرفة فى كل المجالات الظاهرة أمام الانسان والخافية عليه • فمن المجالات الظاهرة أمام الانسان الأرض الثابتة المهدة وما ينزل عليها من المطر وما ينبت فيها من الزرع • ومن المجالات الخافية عليه البحث فى أصل الانسان والكون، ومنها مثلا البحث فى التزاوج بين الأشياء كقانون من قوانين الخلق ليس فى الانسان والحيوان والنبات فقط بل فى كل عناصر الطبيعة (من كل شىء) كما توضح الآيات أنه لايفهم تفسيرها وقوانينها وغاياتها الا من ينيب ، أى من يرجع الى التفكير فيها فلا يمر عليها دون وعى أو دراسة ومن يرجع الى الله ويخلص فى طاعته واتباع منهجه •
(٥٠ ، ص ٢٩٣ ، ٣٥١) •

٧/٥/٢ « ••• ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون »•
(ابراهيم — ٢٥) •

توضح هذه الآية وأمثالها أن الله تعالى يستخدم الأمثال لتقريب المفاهيم والحقائق الى الادراك الحسى والعقلى المباشر حتى يستخدم الانسان عقله فى المقارنة والاستقراء والاستنباط لتذكر هذه الحقائق واكتشاف نتائج جديدة منها • ويرى ابن تيمية أن هذه الامثال هى أقيسه عقلية تجعل صحيح المنقول موافقا لصحيح المعقول ، وبذلك لاتتناقض الحجة العقلية الصريحة مع الحجة الشرعية الصحيحة (٥٢ ، ص ٧٢ ، ٧٣) •

٨/٥/٢ « ولقد أتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون

الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ٠» (القصص — ٤٣)

يهتدى الانسان أيضا ويتعلم من تذكر ودراسة الاحداث والنجارب التاريخية التى وردت فى قصص القرآن ، ومايقاس على ذلك من دراسة وتحليل كل مايستجد فى تجارب الشعوب الانسانية ،

٢/٥/٩ « ٠٠٠ يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ٠٠٠» (المائدة — ١٣) ٠

«اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ٠» (الأعراف — ٣) ٠

هذه الآيات توضح تعمد بعض الناس تضليل غيرهم بتحريف الحقائق بعد تذكرها لهوى فى نفوسهم ، وهذا يؤدى الى بطلان العلم الذى يبنى على المعلومات المحرفة ٠ وفى الآية الثانية نهى صريح عن اتباع من تتعارض أقواله مع أنزل الله ، فاتباع المضلين يمنع صحة التذكر للحقائق كما وضعها الله ٠

٢/٥/١٠ « كلا انه تذكرة ٠ فمن شاء ذكره ٠ وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة ٠» (المدثر — ٥٤ — ٥٦)٠

توضح هذه الآية حقيقة تذكر الانسان الذى لايتم الا فى اطار مشيئة الله ٠ فالانسان يستخدم ارادته ويستعين بتقوى الله ثم تكون مشيئته تعالى فيذكره بالعلم أو يمنعه لحكمة تتسق مع تدبيره لشئون الكون فى صورته الكلية فى الزمان والمكان ، وارادته تعالى فيما يكشف وما لايكشف من اسراره ٠ وفى هذه الآية ردع للانسان عن غروره واعتقاده بأنه قادر بذاته على السيطرة على حقائق الكون بتوالى تقدمه العلمى ٠

وخلاصة ما سبق أن عملية التذكر تتوقف على رغبة الانسان فى

تفهم آيات الله فى خلقه من خلال استرداد ما أودعه الله فى فطرته من معلومات ، واستبقاء ما يدركه مما يحيط بسمعه وبصره من مشاهدات، ومايتوصل اليه بعقله من تأملات ، وكل ذلك فى اطار مشيئة الله تعالى ٠ كما أن أساليب التذكر كمنهج الهى للمعرفة الانسانية تشمل نصوص الآيات المبينة للحقائق وتقريب هذه الحقائق باستخدام الأمثال وسرد أحداث الماضية ٠ والهدف من عملية التذكر أن يزداد وعى الانسان بنفسه وعالمه وخالقه بما يؤدى الى تصحيح عامله وترشيد عمله ٠ والله تعالى يعطى للبشر فى كل الآيات المعينة على التذكر نوعين من الهداية ، هداية ارشاد للناس جميعا منهم من يقبلها ومنهم من ينصرف عنها ، وهداية معونة لمن يقبل على دراسة وتفهم هذه الآيات بوعى ويطلب عونه تعالى لتذكر ما فيها من علم صحيح ٠

٢ — ٦ المعرفة بالقلب أو الفؤاد :

القلب فى اللغة هو الفؤاد وقد يعبر عنه بالعقل (١٤ — ص٤٧٥)٠ وتقرر الآيات القرآنية (*) أن القلب هو محل التقوى والايمان والعلم والثبات والاطمئنان والرحمة والتآلف والسكينة ، كما أنه محل الاثم والريبة والمرض والعمى والجهل والقسوة والانكار واللهو والغلظة والنفاق ٠ وأستخدام لفظ القلب فى محل التعقل يعنى أنه محل المسئولية والاختبار والتدبر والتفكر ٠ ويمكن أن نتبين دور القلب فى المنهج العلمى فى هذه الامثلة من الآيات القرآنية :

٢/٦/١ « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » ٠ (محمد — ٢٤) ٠

فى هذه الآية يكون مجال تدبر وعمل القلب آيات القرآن التى

(*) ذكر القلب أو الفؤاد فى ١٣٢ آية فى القرآن الكريم ٠

يتفكر فيها وفى غايات الأحكام منها دينية ودينيوية ، فليس فى الآية تحديد لمجال التدبر .

٢/٦/٢ « أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ...» (الحج — ٤٦) .

فى هذه الآية وأمثالها يكون تعقل القلب من خلال شواهد الواقع المحسوسة عند سعى الانسان وعمله فى الحياة وظواهرها المختلفة .

٣/٦/٢ « ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون . كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون . » (الروم — ٥٨ ، ٥٩) . «أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون . » (الجاثية — ٢٣) .

«... صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لايفقهون .» (التوبة — ١٢٧)

«... وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ...» (الأنعام — ٢٥)

«... لهم قلوب لايفقهون بها ...» (الأعراف — ١٧٩) .

«كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . » (المطففين — ١٤)

فى مثل هذه الآيات يبين الله تعالى أن عدم استخدام القلب فيما خلق له من التفقه وهو الفهم نتيجة التدبر لكل الآيات التى ضربها الله مثلا ليعمل فيها القلب — يؤدى الى تبلده وخموله . كما يؤدى اتباع الهوى والابتعاد عن منهج الله الى علم فاسد فى القلب يوجه الى الضلال .

٤/٦/٢ « ولا تقف ما ليس لك به علم أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (الاسراء — ٣٦) .

«... لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون.» (الأعراف — ١٧٩) .

«... وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون .» (السجدة — ٩) .

جمعت مثل هذه الآيات بين أدوات المعرفة القلبية والحسية وهى كلها محل المسئولية المكلف بها الانسان . فالعلم المتحقق باستخدام هذه الادوات مطلوب ومفروض على الجنس البشرى والا أصبح كالانعام بل أكثر ضلالا لانه أغفل ما أنعم الله به عليه . وهذه النعم توجب الشكر باستخدامها فيما خلقت له ، ولكن الواقع أنه قليلا ما يحدث ذلك .

٥/٦/٢ « وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به » . (آل عمران — ١٢٦) . « ... فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (الحج — ٤٦) .

«... وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ...» (الأحزاب — ٥) .

«يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ... » (الانفال — ٢٤) .

مسئولية القلب أنه هو الذى يقود ويوجه الأدوات نحو المعرفة الصحيحة ، والله تعالى هو الذى يحمى القلوب من الضلال اذا أتجهت الى طريقه فتطمئن لاتجاهها نحو الفهم الصحيح .

وفى الحديث الشريف (... ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب) (١٢ — ص ٥١) ، (أنا أعلمكم بالله وأن المعرفة فعل القلب لقول الله

تعالى : «ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم») (١٢ — ص ٢٦) ، (قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر ، وقلب الكافر أسود منكوس ، فطاعة الله بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعاصيه مسودات له ، فمن أقبل على المعاصى اسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التى يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس فيها ثم تمسح فانها لاتخلو من كدورة) (٢٠ — ص١٠).

لقد أفاض علماؤنا الاوائل فى شرح آيات القلب والفؤاد لكثرة ورودها فى القرآن الكريم وشرحها بالاحاديث الشريفة . ومن حيث دور ومسئولية القلب فى المنهج العلمى نسترشد فى توضيح الآيات والأحاديث السابقة ببعض شروح الامام على رضى الله عنه والامام الغزالى .

يقول الامام على رضى الله عنه : «... وناظر قلب اللبيب به يبصر أمده ، ويعرف غوره ونجده ، داع دعا ، وراع رعى فاستجيبوا للداعى وأتبعوا الراعى ... فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعمنه عليه أم له ، فان كان له مضى فيه ، وان كان عليه وقف عنه ، فان العامل بغير علم كالسائر على غير طريق ، فلا يزيده بعده عن الطريق الا بعده عن حاجته والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح ، فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع.» (١٥ — ص ٣٣٠ ، ٣٣١) .

ويفسر الامام محمد عبده عبارات الامام على عن القلب بأن ناظر القلب استعارة من ناظر العين ، وهو النقطة السوداء منها والمراد بصيرة القلب والتى يدرك بها الانسان ذو العقل الراجح الغاية التى يهدف اليها ، أما الغور فهو ما أنخفض عن الارض والنجد ما ارتفع عنها ، أى يدرك الانسان بقلبه باطن أمره وظاهره . (١٥ — ص ٣٣١) .

ويتضح لنا أيضا من كلمات الامام على رضى الله عنه أنه فى

مجال معرفة القلب فان الله هو الداعى والرسول هو الراعى وأن علينا أن نستجيب لدعوة الله وهداه ، وأن نتبع تعاليم رسول الله حتى تتحقق لنا معرفة القلب وهى البصيرة التى تعين على الفهم الصحيح عند الكشف عن حقائق الامور الخافية . وبذلك يتحقق للانسان علم القلب الموجه الذى يرشد خطوات البحث العلمى فيؤدى الى التقدم الصحيح وليس الى التقدم الظاهرى الذى هو فى حقيقته تقهقر فى مسيرة الحضارة الانسانية.

ويرى الامام الغزالى أن لفظ القلب يطلق على معنيين : أحدهما مادى وهو اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر . وهذا المعنى ينطبق على قلب الانسان والحيوان بل هو موجود فى الحى والميت . والمعنى الثانى أنه لطيفة ربانية روحانية ، وهو القلب أو الفؤاد المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب فى آيات القرآن، والذى يفقه منه الانسان ويعرف به حقيقة الأشياء . كما يرى الامام الغزالى أن كل قلب صالح بالفطرة لمعرفة الحقائق لأنه أمر ربانى شريف يختلف عن سائر ما فى العالم بهذه الخاصية . ومن حيث العلم بالقلب ، يفرق الغزالى بين ثلاثة أمور : القلب وحقائق الأشياء ، وحصول هذه الحقائق فى القلب وحضورها فيه . فالعالم هو القلب ، والمعلوم حقائق الاشياء ، والعلم حضور الحقائق فى القلب . وقد تكون الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولا يحصل علما . (٢٠ — ص ١٠ ، ١١) .

ويشرح الامام الغزالى تشبيه الرسول عليه الصلاة والسلام القلب بالمرآة بأن العلم هو صورة حقائق الاشياء التى تنطبع على القلب . وقد لا ينكشف العلم فى القلب كما لا تظهر الصورة فى المرآة لخمسة أمور (٢٠ — ص ١١) :

(أ) نقصان فى المرآة أصلا أو عدم اكتمالها مثل عدم نضج القلب كقلب الصبى .

(ب) صدأ المرآة وهى كدورة (من الكدر) المعاصى والخبث الذى يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات بما يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته • فالاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذى يجلو القلب ، والدليل على ذلك قوله تعالى: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» (العنكبوت — ٦٩) ، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) (٢٠ — ص ١١) •

(ج) عدم توجيه المرآة للصورة كأن تكون الصورة خلفها ، وهذا يعنى أن يكون اتجاه القلب بكامله لتهيئة أسباب المعيشة فقط أوللشهوات الدنيوية ولذاتها فلا يكون فيه مجال للتأمل فى حضرة الربوبية •

(د) وجود حجاب بين الصورة والمرآة ، حيث لاتنكشف الحقائق بسبب اعتقاد مسبق على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن ، وهذا حجاب يقع فيه المتعصبون للمذاهب المختلفة •

(ه) الجهل بالوسائل التى يعثر بها على الصورة المطلوبة ، وهى تذكر العلوم المناسبة وترتيبها فى نظام معين وهو مايعرفه العلماء بطرق الاعتبار • وهذه العلوم المطلوبة التى لاتكون فطرية لايتم تحصيلها الا بشبكة من العلوم حيث لايحصل أى علم الا من ازدواج • فالجهل بطرق الاعتبار وبكيفية الازدواج هو المانع من حصول العلم فى القلب•

ومن مثال المرآة يوضح الامام الغزالى كيف يكون للناس قلوب لايعقلون بها وكيف يطبع الله على قلوب الذين لايعملون • فكل ذلك بعمل الانسان الناتج عن ارادته واختياره باستخدام القلب فى تحقيق الأهواء والشهوات وليس فى طريق العلم الحق •

كذلك يشرح الامام الغزالى الذين فى قوله تعالى: «كلا بل وان على قلوبهم ماكانوا يكسبون• » ، بأنه ناتج من الآثار المذمومة على قلب الانسان نتيجة لعدم طاعة الله فهى كالدخان المظلم الذى يتصاعد الى

مرآة القلب فيتراكم عليها مرة بعد أخرى الى أن يسود القلب ويظلم ويصبح محجوبا عن تلقى الهدى والبصيرة من الله تعالى• (٢٠ — ص ١٠)•

نستخلص مما سبق أن قلب الانسان هو أهم أدواته فى التبصير بالحقائق الدينية والدنيوية فى صورة لاتناقض فيها، بما يحقق له التوازن فى جانبيه الروحى والمادى ، وبما يحقق غايات العلم الصحيح للجماعة البشرية • وأن الطريق الذى يجب أن يتبعه الانسان لكى يقوم القلب بوظيفته ويؤدى مسئوليته هو الاخلاص فى طاعة الله قدر استطاعته وأتباع توجيهاته ثم استخدام كل أدوات المعرفة التى خلقها الله له وهى السمع والبصر والفؤاد والمداومة على اكتساب العلم الصحيح •

٢ — ٧ الملاحظة بالسمع والبصر :

تؤكد كثير من آيات القرآن على أهمية السمع والبصر وضرورة استخدامها بدقة لنقل المحسوسات الى وعى الانسان • وما يؤكد أهمية وشرف ومكانة السمع والبصر أنهما من أسماء الله الحسنى ، فهو السميع البصير • فالسميع هو الصفة الالهية التى يكشف بها كمال صفات المسموع ، والبصير هو الصفة الالهية التى ينكشف بها كمال نعوت المبصرات • (٢١ — ص ٨٤) •

وصفات السمع والبصر لله تعالى من الأدلة على أحقيته بالعبادة وعلى ضلال الذين يعبدون مالايسمع ولايبصر حيث يقول تعالى :

«اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لايسمع ولايبصر ولايغنى عنك شيئا •» (مريم — ٤٢) • ويرى ابن تيمية أن هذه الآية تدل على أن السمع والبصر والغنى أكمل ، وأن المعبود يجب أن يكون كذلك (٥٣ ، ص ١٥٩) والسمع والبصر للانسان أدوات للمعرفة والملاحظة العلمية ، وهذا مايميزه عن الحيون الذى يسمع ويرى لمجرد اشباع حاجاته المادية •

ومن الأمثلة الآتية لآيات السمع والبصر فى القرآن الكريم

نستخلص دورها كأدوات للمنهج العلمى وشروط استخدامها لتحقيق الملاحظة الصحيحة :

١/٧/٢ « ولا تقف مـا ليس لك به علم أن السمـع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا. » (الاسراء — ٣٦) .

« قد جاءكم بصـائر من ربكم فمن أبصر فلنفسـه ومن عمى فعليها ... » (الانعام — ١٠٤) .

«وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولاأبصاركم ولا جلودكم ...» (فصلت — ٢٢) .

فى مثل هذه الآيات يتضح أن السمع والبصر أدوات للادراك والمعرفة وهما موضع مسئولية الانسان لاينفصلان عن مسئولية القلب. كما أنهما يشهدان فى الآخرة على الانسان من حيث استخدامه لهما ومدى ما تحقق من وظيفتهما عند سعى الانسان فى علمه وعمله فى هذه الحياة الدنيـا .

٢/٧/٢ « واذا قرىء القـرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون. » (الأعراف — ٢٠٤) .

«والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا.» (الفرقان — ٧٣) .

«الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. » (الزمر — ١٨) .

«ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.» (ق — ٣٧) .

«واذا سمعوا ماأنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ...» (المائدة — ٨٣) .

« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ... » (الحج — ٧٣).

«ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم

يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم.» (التوبة — ٦١).

وفى الحديث الشريف : (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع) (٢٨ ، ص ٣٩٩) .

من هذه الآيات والحديث نتبين شروط الأداء الصحيح لوظيفتى السمع والبصر . هذه الشروط هى الانصات وحسن الاستماع والرؤية، والتفكر والتأمل فيما يسمع ويرى ، وعدم الاكتفاء بمصدر واحـد بل تجميع الآراء لاختيار أحسنها وأكثرها قبولا . كما يشترط عند السمع والرؤية حضور القلب لاستقبال مايلقى فيه بنية خالصة لله حتى يحدث الفهم والعلم الصحيح . كما أن الأذن أداة للخير والشر ووجب استخدامها — اقتداء برسول الله — فيما يرضى الله ويحقق مصالح المؤمنين .

٣/٧/٣ « لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبـالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليهم بالظالمين.» (التوبة — ٤٧) .

« ... ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون أن أوتيتم هـذا فخذوه وان لم تؤتوه فأحذروا ... » (المائدة — ٤١) .

«ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون.» (الأنفال — ٢١) .

«... ويقولون سمعنا وعصينا ...» (النساء — ٤٦) .

«يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ..» (الجاثية — ٨) .

«... يسمعون كلام ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون.» (البقـرة — ٧٥) .

«ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ..»
(فاطر — ١٤)

«أفريت من أخذ الهة هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ...» (الجاثية — ٢٣) .

«ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون.»
(الأنبياء — ٢) .

هذه الآيات وأمثالها تبين صور انحراف السمع والبصر والبعد عن وظيفتهما الصحيحة . وينتج هذا الانحراف من الغفلة وتصديق مايقال دون تفكر . أو من سوء النية بالاستماع الى مايشاع كذبا وترويجه رغبة فى تحريف الحقائق والفتنة بين الناس . وقد ينحرف السمع بسبب عدم الاصغاء أو الاستكبار عن قبول الحقيقة ، أو التحيز واتباع هوى النفس فى تحقيق مصالح خاصة . وقد تنقل الحقائق صحيحة للأذن ولكنها تحرف عن عمد أو لايستجاب لما فيها من خير وبذلك يضل الانسان عن العلم الصحيح وتفسد فيه أدوات السمع والبصر مثلما يفسد القلب . وفساد السمع أكثر فى الآيات من فساد البصر ، لأن السمع ينقل عن الغير ويحتاج الى التحقق . أما البصر فهو رؤية مباشرة يقل فيها التحريف والتضليل .

وخلاصة ماسبق أنه لاانفصال بين أدوات المعرفة التى خلقها الله فى الانسان الحسية منها والقلبية . فلصحة الادراك الناتج عن الملاحظة بالسمع والبصر يجب أن تكون النية القلبية صحيحة فى اتجاهها نحو التعرف على الحقيقة كما وضعها الله . أما اتباع الهوى فانه يؤدى الى فساد هذه الأدوات جميعا بحيث ينتج عنها معرفة غير صحيحة فى مضمونها أو فى غاياتها وأهدافها .

٢ — ٨ الاستدلال بالنظر والتفكر والعقل :

يتم الاستدلال على الحق والحقائق فى المنهج الالهى بالنظر والتفكر والتدبر والعقل . والنظر المذكور فى آيات القرآن الكريم ليس هو مجرد الابصار والرؤية ، ولكنه النظر الموجه المقصود منه التأمل فى المشاهدات . ويتبع النظر التفكر والتدبر للوصول الى عقل أى فهم حقائق الظواهر من حيث علاقاتها وقوانينها وغاياتها . وتوجه آيات القرآن نظر الانسان الى كل مافى الكون من ظواهر طبيعية وانسانية ، حاضرة وماضية ، لكى يبحث فيها وليفهم ويفسر حقيقة هذه الظواهر ليسخرها فى أشباع حاجاته ، وليستدل منها على ماوراءها من الحقائق الغيبية المطروحة فى آيات القرآن (*) .

٢ — ٨ — ١ النظر :

يقول تعالى : «قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ان الله على كل شىء قدير .» (العنكبوت — ٢٠) .

«بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين .» (يونس — ٣٩) .

«... فهل ينظرون الا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا . أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة .. » (فاطر — ٤٣ ، ٤٤) .

«فلينظر الانسان مما خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من

(*) وهذا هو منهج ابراهيم عليه السلام الذى ذكره القرآن للاستدلال على وجود الله ، والذى وضع فيه الفروض ثم بدأ فى تحقيقها من الظواهر التى شاهدها حوله واستعان بالله على الفهم الصحيح . (الانعام ، ٧٥ — ٧٩) .

بين الصلب والترائب .» (الطارق ، ٥ — ٧) .

«أولم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شىء ...» (الأعراف — ١٨٥) .

«أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت، والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت . » (الغاشية ، ١٧ — ٢٠) .

«فانظر الى آثار رحمة ربك كيف يحيى الأرض بعد موتها ...» (الروم — ٥٠) .

«... انظروا الى ثمره اذا أثر وينعه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون. » (الأنعام — ٩٩) .

يدلنا المنهج الالهى فى هذه الآيات الى أسلوبين للاستدلال بالنظر العلمى . أولهما النظر فى وقائع وأحداث الماضى وهو الأسلوب الاستردادى أو التاريخى (*) ، والثانى النظر فى الشواهد الحاضرة والظواهر الدائمة وهو أسلوب المعاينة .

٢ — ٨ — ٢ التفكر :

يقول تعالى : «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون. » (البقرة — ٢١٩) .

« أولم يتفكروا فى أنفسهم ..» (الروم — ٨) .

«الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك ...» (آل عمران — ١٩١) .

(*) يطبق هذا الاسلوب فى دراسة تاريخ الظواهر وليس فقط فى الاحداث التاريخية .

« ... فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » . (الاعراف — ١٧٦) .

« ... يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون .» النحل — ٦٩) .

«ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون. » (الروم — ٢١).

هذه الآيات وأمثالها توجيه للبشر للتفكير فى خلق الله تعالى فى السموات والأرض . والتفكر هو التأمل والتدبر ، أى بحث الظاهرة من جميع جوانبها ، واكتشاف علاقاتها بغيرها من الظواهر ، وعمل المقارنات والارتباطات ، والتعرف على الايجابيات والسلبيات والموازنة بينهما بحيث يتبين الباحث طبيعة وغايات هذه الظواهر .

٢ — ٨ — ٣ العقل :

الهدف من النظر والتفكر أن يعقل الانسان حقائق الوجود ما ظهر منها وما خفى . وينسب العقل الى القلب فى آية واحدة فى القرآن الكريم ويذكر مطلقا فى باقى الآيات (*) .

وفى لسان العرب العقل هو القلب والقلب هو العقل . وسمى العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه من التورط فى المهالك وهو ضد الحمق. وقلب عقول أى فهم . ويمكن أن نقول أيضا ان عقل الشىء يعنى الامساك به والتمكن منه والسيطرة عليه (٥ ، ص ٣٠٤٦) .

كما يعبر القرآن الكريم عن العاقلين بأولى الألباب وأولى النهى. وفى لسان العرب لب كل شىء خالصة وخياره وحقيقته ، واللب هو العقل ، ولب الرجل ماجعل فى قلبه من العقل . والنهى خلاف الأمر، وفى التنزيل العزيز (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه) (المائدة — ٧٩)،

(*) عدد آيات العقل فى القرآن الكريم ٤٩ اية .

والنهية غاية كل شيء وآخره • كما أن النهى هى العقول لأنهـــا تنهى عن القبيح • (١٤ ، ص ٦٨٣) •

من هذه المعانى يتضح لنا أن العقل والقلب هما حقيقة الانسان، وهى حقيقة واحدة لاتتحدد بمكان عضوى معين فى الانسان • وانما هى طاقة ذات وجهين تتمثل فى التوجه الواعى المطمئن والفهم الصحيح، وقد ينحرف التوجه فينحرف الفهم بما يؤدى الى الضلال والعلم الفاسد • ويمكن القول أن أختصاص وجه القلب هو عقل التوجه ، واختصاص وجه العقل هو عقل الاثبات والبرهان •

يقول تعالى : «أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بهـا ••» (الحج — ٤٦) •

«ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء مـن ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون •» (البقرة — ١٦٤) •

«وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون •» (النحل — ١٢) •

«وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون •» (الرعد — ٤) •

«••• كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون• » (الروم — ٢٨) •

«وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون• » (العنكبوت — ٤٣) •

«ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب لعلكم تتقون• » (البقرة

— ١٧٩) • «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب •» (الزمر — ٢١) •

«الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى • كلوا وأرعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى •» (طه — ٥٣ ، ٥٤) •

«يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ومايذكر الا أولى الألباب •» (البقرة — ٢٦٩) •

«يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا•» (النساء — ١٧٤) •

«••• قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين •» (البقرة — ١١١)•

ان مايمكن أن نستخلصه من هذه الآيات أن العقل هو فهم حقائق الظواهر التى خلقها الله وسخرها لمنفعة الانسان وحثه على عقلها أى التحكم فيها والسـيطرة عليها والانتفاع بخيرها والتغلب على مضـارها •

كما أن العاقل هو الذى يتعظ بمن قبله ، ويتبين حقائق الأشياء ونتائج الأعمال فينتهى وينهى غيره عما فيه الضرر ، ويتبع وينصـح غيره بما فيه الخير • وبذلك يؤتيه الله الحكمة الى جانب العلم جزاء لاتباعه الحق فى عمله ولتقواه فى عمله • وفى لسان العرب فان الحكمة هى معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم • ولايكون حكيما من لم يتصل بالله لأن الحكمة من صفاته تعالى يؤتيها من يشاء •

ويحتاج العقل الى استخدام كل القوى والأدوات التى خلقها الله للانسان والاستعانة بما آتاه الله من علم فطرى يتذكره ويحتكم اليه ، وماوضعه له من موازين للبرهنة على حقائق الوجود • ولايقتصر

مجال العقل على البرهان النظرى فى فهم الحقائق ، بل تحثه الآيات على البرهان التجريبى أى التحقق من صحة هذا الفهم للظواهر فى الواقع .

والخلاصة أن عمليات النظر والتفكر والعقل تمثل دورة كاملة لفهم ظواهر الكون والتحكم فيها والسيطرة عليها . وهذه الدورة تبدأ باستردا د أو معاينة الظوهر الكونية — طبيعية وانسانية — ثم دراسة وتحليل هذه الظواهر واستنباط النتائج التى يتم التحقق من صحتها بالمقاييس العقلية والتجريبية .

٢ — ٩ خصائص وضوابط العلم :

ذكر لفظ العلم بمشتقاته فى كثير (*) من آيات القرآن الكريم ويرجع ذلك الى أنه الوسيلة (فطرية أو مكتسبة) التى تؤدى بجميع الخلائق الى عبادة الله وفقا لمنهجه الذى وضعه لهم كل تبعا لطبيعته، ويذكر العلم منسوبا الى الله تعالى وهو صفة من صفات أسماء الله الحسنى . فالله تعالى هو العليم أى يحيط علما بكل شىء . كما ينسب العلم الى الملائكة والكائنات الاخرى من غير البشر . وتنص الآيات أيضا على تعليم الله تعالى للانبياء والرسل والبشر ، وتعليم البشر للبشر .

وفى مجال علم البشر الذى يؤدى الى العلوم المكتسبة ، يمكن أن نستخلص من الآيات القرآنية وشروحها بعض عناصر المنهج العلمى :

٢ — ٩ — ١ فضيلة العلم :

يقول تعالى : «شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ..» (آل عمران — ١٨) .

(*) عدد هذه الآيات ٧٨٠ آية من ٦٢٣٦ آية هى مجموع آيات سور القرآن الكريم ، أى بنسبة ١ : ٨ تقريبا .

«... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات..» (المجادلة — ١١) .

« .. قل هل يستوى الذين يعلمون الذين لا يعلمون .. » (الزمر — ٩) .

«... أنما يخشى الله من عباده العلماء ..» (فاطر — ٢٨) .

«وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لايقدر على شىء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لايأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » (النحل — ٧٦) .

وفى الأحاديث الصحيحة للرسول عليه الصلاة والسلام توضيح لهذه الآيات الدالة على فضيلة العلم منها : (اذا مات ابن آدم أنقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له.) (٢٨ — ص ٣٥٤) ، (من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) (٢٨ — ص ٣٥٤) ، (من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وان العلماء ورثة الانبياء ، وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذه بحظ وافرا) . (٢٠ — ص ١٣) وكما ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام من الثلاثة الذين يؤتون أجرهم مرتين . (رجل كانت عنده أمة فأدبها وأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها) (١٢ ، ص ٨٦) .

ويشرح الامام الغزالى فضل العلم كما هو مبين بالآية الأولى بأن الله سبحانه وتعالى بدأ فى الآية القرآنية بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم فى الشهادة بأن الله لا آله الا هو قائم بالقسط ، وفى هذا تشريف الهى للعلم وأهله .

ان فضيلة العلم المكتسب التى نستخلصها من الآيات والاحاديث تنبع من أنه يكشف عن الحق فى صورة معلومة يفيد صاحبه وتفيد غيره ، وهذا العلم الذى ينفع الناس بفهم قوانين الله تعالى فيما خلقه ، ويشهد على أنه تعالى قدرها بالقسط أى بالعدل والميزان والدقة المتناهية هو الذى يرفع من يتوصل اليه درجات على سائر البشر .

٢ ـ ٩ ـ ٢ اكتساب وتحقيق العلم :

يقول تعالى : «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ان ربكم لرؤف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لاتعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين . هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حليه تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون» (النحل ، ٥ ـ ١٧) .

«وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلا» (الاسراء ـ ١٢) .

«يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون» (الروم ـ ٧) .

«والله أخرجكم من بطون أمهاتكن لاتعلمون شيئا ...» (النحل ـ ٧٨) .

«ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون .» (السجدة ـ ٩) .

«... ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لايعلم من بعد علم شيئا ...» (الحج ـ ٥) .

وفى الحديث : (من يرد الله به خيرا يفهمه وانما العلم بالتعلم) (١٢ ـ ص ٦٦) .

فالعلم حصيلة عدد من العوامل والعمليات والوسائل التى تلخصها الآيات المتتالية والحديث الشريف بما تنص عليه من نظر وتفكر وعقل وتذكر وطلب الهدى لفهم ماسخره الله تعالى لنا .

وتتكامل الآيات الثلاث الاخيرة والحديث مع قوله تعالى : «وعلم آدم الاسماء كلها ..» (البقرة ـ ٣١)، لتدل على كيفية اكتساب الانسان للعلم . فالله تعالى وهب آدم وذريته علما فطريا أوليا تكريما وتشريفا له على الملائكة ، وأساسا يمكنه من الخلافة فى الأرض . فقد اقتضت ارادة الله وعدله أن يعلم آدم أسماء ظواهر الكون الذى سيكون مجال الأقامة والابتلاء والخلافة ، بل وأشهده وذريته على أنفسهم وأنه الههم واليه مصيرهم (*) . ويكتسب الانسان العلم باكتشاف قوانين ظواهر الكون بصورة تفصيلية من نظره وتفكره وعقله وبحثه فيها بما يمكنه من السيطرة عليها وتسخيرها لاشباع الحاجات الانسانية . وبذلك يتحقق الجانب المادى لمكاسب الانسان من العلم . ولاتتحقق فضيلة

(*) يقول تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » (الاعراف ـ ١٧٢) .

العلم بالصورة التى تبيناها فى الفقرة السابقة الا اذا أدى هذا العلم المكتسب بالانسان الى اكتشاف الصلة بين المخلوقات والخالق والاعتراف بوحدة الوجود ووحدانية الله .

كما تدل هذه الآيات على أطوار الانسان فى اكتساب وتطوير العلم . فالطفل الذى لم تكتمل أدوات العلم لديه — وهى السمع والبصر والفؤاد — لا تكون لديه القدرة كاملة على عقل الأشياء، فيبدأ عمله بالحواس ويتدرج الى المعرفة العقلية مع اكتمال وتكامل أدواته ويصل الى العلم الصحيح اذا اتصل فؤاده بخالقه فيكون قادراً ومؤهلا لاكتساب العلم الحق ، وهو مايستوجب الشكر وتتحقق معه فضيلة العلم . وأما من يرد الى أرذل العمر فهو من تفسد فيه أدوات العلم فلايتمكن من اكتساب علم جديد أو استبقاء علم سبق اكتسابه.

ومن هذه الآيات نتعلم أن الله سبحانه هو واهب العلم سواء فى انشائه كعلم فطرى أولى فى تحقيقه كعلم مكتسب نافع . وهى ترد الانسان عن غروره حين يتوهم أن العلم الذى توصل اليه هو من صنعه وأنه قادر على استبقائه . كما نلاحظ أيضا صيغة الجمع التى تستخدم فى الآيات عندما يكون الأمر متعلقا باكتساب وتحقيق العلم بما يدل على أن العلم يتكون فى صورة جماعية . وفى مقابل ذلك نجد صيغة المفرد عند زواله لأنه يزول عن الفرد ذاته ولاينقص من علم الجماعة (*). فالعلم طالما تم اكتشافه واتخذ الصفة الجماعية لايزول الا بزوال فئة العلماء . ويؤكد ذلك الحديث الشريف : (ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما أتخذ الناس رءوساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) (١٢ — ص ٨٩) .

(*) وتتضح هذه الصورة الجماعية فى العلم المستمر الدائم فى تعليم الله تعالى لآدم كل الأسماء لتنتقل منه الى جميع ذريته .

٢ — ٩ — ٣ التعاون فى العلم وحدود الاختلاف فيه :

يقول تعالى : «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب » . (الزمر — ١٨) .
« بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون » . (العنكبوت — ٤٩) .

«وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وأصبروا ان الله مع الصابرين .» (الأنفال — ٤٦) .
« ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » .. (آل عمران — ١٠٥) .
« كان الناس أمه واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وماختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما أختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .» (البقرة — ٢١٣) .
«وما أختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله ...» (الشورى — ١٠) .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (من اجتهد وأخطأ فله أجر ومن اجتهد وأصاب فله أجران) (١٧ — ص ٤٩٦) ، (العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من المشركين ولا بأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه) (٢١ م — ج ، ص ٣٤٨) .

فالعاقلون هم الذين يتعاونون فى طلب العلم وتبادل الرأى والتوصل الى أحسن الآراء . وهم مأجورون على اجتهادهم حتى ولو أخطأوا . كما أنهم مطالبون بالبحث عنه كجماعة بشرية لا فرق بين مؤمن وكافر بالله .

ويؤدى التنازع والتباغض فى الرأى الى تشتت الجهود والفشل

فى التوصل الى الصواب . وهذا يكون بسبب الرغبة فى البغى والعدوان

فى التوصل الى الصواب . وقد يكون بسبب الرغبة فى البغى والعدوان

وليس للوصول الى الحق ، وبذلك لاتثمر الجهود المبذولة فى العلم والعمل . ويحتاج الاختلاف فى الرأى الى كثير من الصبر حتى يوفق الله بين الآراء فيهتدى المختلفون الى الرأى الحق ويتعاونوا عليه بدلا من التنازع فيه .

فالاختلاف فى العلم مرحلة قد تكون ضرورية لتجميع الآراء المختلفة والتوصل منها الى العلم الصحيح والذى يكون بالرجوع الى حكم الله والاستعانة بهداه مع التجربة والخطأ وتمحيص كل المحاولات والاجتهادات .

٢ ــ ٩ ــ ٤ ضوابط العلم الحق :

تزخر آيات القرآن الكريم بالتحذير ممايبطل العلم سواء بالتحريف أو الكتمان أو الانكار أو الحكم بغير علم أو بظن أوهوى ، أو التقليد بغير وعى وادراك .

يقول تعالى : «ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون .» (البقرة ــ ٤٢) .

« ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون .» (آل عمران ــ ٦٦) .

«... ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير .» (لقمان ــ ٢٠) .

« وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين » (الانعام ــ ١١٩) .

«... فمن أظلم ممن أفترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لايهدى القوم الظالمين .» (الأنعام ــ ١٤٤) .

«... مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون » (أى يكذبون) . (الزخرف ــ ٢٠) .

«ومايتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لايغنى من الحق شيئا ..» (يونس ــ ٣٦) .

«... قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون .» (الأنعام ــ ١٤٨) .

«اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم .» (النور ــ ١٥) ، «ولاتقف ماليس لك به علم ..» (الاسراء ــ ٣٦) .

«ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ..» (لقمان ــ ٦) .

«بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ..» (يونس ــ ٣٩) .

«واذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون .» (البقرة ــ ١٧٠) .

«يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون .» (الصف ــ ٢ ، ٣) .

« أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم ». (الجاثية ــ ٢٣» .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (من علم علما فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار) (١٩ ــ ص ١٥) ، (ما آتى الله عالما علما الا وأخذ عليه الميثاق ما أخذ على النبين أن يبينوه للناس ولايكتموه) (١٩ ــ ص ١٤) ، (انما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة) (٢٠ ــ ص ٣٢) ، (لايكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عالما) . (١٩ ــ ص ٥٧) ، (حسن السؤال نصف العلم) (٢١م ــ ج٢ ص ٣٢١). وفى البخارى (*) أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كانت

(*) واضع علم الحديث (٨٠٩ ــ ٨٦٩ م) .

لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه (١٢ ، ص٩١) .

كما يقول الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فيمن يتصدى للحكم بغير علم :

«... فان نزلت به احدى المبهات هيأ لها حشوا رثا من رأيه ثم قطع به ، فهو من لبس الشبهات فى مثل نسيج العنكبوت .» ويشرح الامام محمد عبده المبهمات بأنها المشكلات التى أبهمت عن الوضوح والبيان فهى كالصامت الذى لايفصح ولايوضح مافى نفسه ، ومنها قيل لما لا ينطق من الحيوان بهيمة . كما يوضح أن الحشو الزائد لافائدة فيه للعلم ووصفه بأنه رث يعنى أنه خلق بال لاجديد فيه ولااضافة تحقق تقدما للعلم . فالمقصود بكل هذا التشبيه البلاغى للامام على لمدعى العلم أنه يواجه ماأبهم عليه من المشكلات برأى ضعيف لايصيب من حقيقتها شيئا . وهو فى ضعف بناء حكمة مثل نسيج العنكبوت . (١٥ — ص ١٠٧) .

ويقول الامام الشافعى : «انى شاهدت مالكا (يقصد الامام مالك) قد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال فى اثنتين وثلاثين منها لاأدرى، ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لايدرى.» (١٩ — ص ٢٩) .

ويمنع الامام أبو حنيفة أن يقول أحد برأيه حتى يدرك ويفهم أسباب هذا الرأى ، كذلك يوضح ابن الجوزى الحنبلى (**) أن فى التقليد ابطال لمنفعة ومهمة العقل . (١٣ — ٩٦ ، ٩٧) .

ويمكن أن نلخص ضوابط العلم الحق من المنصوص والقواعد السابقة فيما يلى :

— ضرورة دراسة وفهم كل جوانب موضوع العلم بالسؤال والبحث ، ولا تتقرر نتيجة الا فيما يتم التحقق منه .

(**) مؤرخ عربى ، وفقيه حنبلى (١١١٦ — ١٢٠٠ م) .

— الاضافة و لتجديد و الحداثة فى المرأى بما يحقق الفائدة والتقدم للعلم .

— الصدق والدقة فى عرض المرأى العلمى واستخدام الألفاظ المعبرة تماما عن حقائقه .

— توضيح الادلة التى تم التوصل منها الى نتائج معينة حتى لا يكون الرأى مجرد ظن وهوى .

— اعلان وتطبيق ما تم التوصل اليه من حلول للمشكلات أو من حقائق علمية حتى يمكن تمحيصها أو الاستفادة منها أو الاضافة عليها .

٢ — ١٠ صفات العالم :

يقول تعالى فى خلق الانسان أنه خلقه ليكون خليفة فى الأرض وأنه نفخ فيه من روحه ليكون أهلا لذلك . « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ...» (البقرة — ٣٠ .

«ثم سواه ونفخ فيه من روحه ...» (السجدة — ٩) .

ويرى الامام الغزالى فى شرحه لاسماء الله الحسنى أن للانسان حظا من معنى كل اسم من أسمائه تعالى . وأن كمال العبد وسعادته فى التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلى بموانى صفاته . (٢١ — ص٤٥) .

ومن هذه الأسماء وشروحها يمكن أن نستخلص صفات العالم الحق كما يريده الله تعالى . وهذه الصفات وان كانت مطلوبة ومرغوبة فى كل انسان بصفته الانسانية ، فهى لاغنى عنها لمن يريد أن ينتسب لفئة العلماء ويكتسب شرفهم ويتحقق فيه فضلهم .

وقد سبق أن تبينا بعض معانى أسماء الله الحسنى فى مواضعها، ونضيف هنا الأسماء والصفات المرتبطة بالباحث العلمى كنموذج أعلى للعالم الحق (*) .

(*) المرجع رقم ٢١ ، وهذه الصفات مرتبة حسب وردها فى أسماء الله الحسنى ، وقد استعانت الباحثة بشرح الامام الغزالى لاستخراج المعنى الذى ينطبق على مجال البحث العلمى .

رحمـــن : تعنى هذه الصفة أن يرحم العالم عباد الله الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة أى يخرجهم من الجهل الى العلم دون ايذاء أو تعالى ، وأن يشعر أن كل جهل هو مسئوليته فلا يألو جهدا فى ازالتـــه .

قـــدوس : قدس الانسان الباحث يكون فى تنزيه ارادته وعلمه عن المتخيلات والمحسوسات والموهومات . أى أن يكون قصده طلب الحقائق المجردة لذاتها وأن يبتغى وجه الله تعالى فيما يبذل من جهود علمية ، وليس لمطمع شخصى أو للسيطرة على الغيـــر .

ســـلام : وهو من تسلم ذاته عن العيب وصفاته عن النقص وأفعـــاله عن الشر . وهذه الصفة على اطلاقها لله تعالى وحده ، ولكنها تعنى للباحث العلمى أن يسلم من الغش والحقد والحسد وارادة الشر وبذلك يسلم العلم الذى يحققه من هذه النقائص .

مـــؤمن : وهو الذى يعزى اليه الأمن والأمان وسد طرق المخاوف . فالباحث العلمى بهذه الصفة هو من يأمن الناس جانبه ، فلا يقدم لهم الا ما هو صحيح ونافع من العلم ، ويرشدهم الـــى ما يدفع الخوف والفساد عنهم .

عـــزيز : وهو من يحتاج اليه عباد الله تعالى فى أهم أمورهم ، وعزة العلماء — وهم ورثة الأنبياء — تقدر بمدى علو مرتبتهم فى مجتمعهم لما بذلوه من عناء فى كسب العلم وارشاد الخلق .

متكبـــر : وهو الذى يتكبر على كل شىء سوى الحق تعالى ، فيستحقر كل ما يشغله عن طلب الحقيقة العلمية ، ويترفع عن كل مايبعده عنهـــا .

خالق — بارى — مصور :

تتمثل هذه الصفات فى الباحث عندما يكشف عن الصورة العلمية

المطابقة لأصل الموجودات كما خلقها وأنشاها وصورها الله تعالى . وذلك من حيث تفاصيلها وتركيبها والحكمة من خلقها وترتيبها مع الموجودات الأخرى . فالباحث تتجلى قدرته فى الخلق والتصوير عند ادراكه وفهمه لأى من الموجودات وتمثل عناصر بنائها ومراحل خلقها .

فتـــاح : وهو الذى بجهده وعنايته وعمله تنفتح له مغاليق الأمور، ويتم له التوصل الى حلول المشكلات .

عليـــم : هذه الصفة للباحث تعنى تزايد قدر مايكون لديه من المعلومات وما يمكنه استيعابه من الحقائق ، فلا يكتفى بالقليل منها . وبذلك يتمكن من كشف الحقائق بوضوح وترتيبها فى صورة لاتناقض فيها والاستفادة منها فيما خلقت له .

خافض — رافـــع :

تتضح هذه الصفات للباحث فى أنه يرفع الحق ويخفض الباطل وينتصر للحق دائما ويعلى من قيمته ، ويستبعد من نتائجه وعلمه كل مايثبت بطلانه مهما كانت المشقة التى بذلها فى الوصول الـــى هذه النتـــائج .

ســـميع : للباحث من حيث حس السمع نصيب ولكنه لايدرك مـــن المسموعات الا ما قرب من الأصوات ، كما أن وسيلته للسمع وهى الأذن ليست كاملة ومعرضة للعلل . وقد تختلط المسموعات فلا يكون ادراك الحقائق سليما . ولذلك فالباحث محتاج دائما الى حسن الاستماع والانصات حتى يتبين ويميز فيما يسمع ما هو حق وباطل .

بصـــير : للباحث أيضا قدرة البصر لما هو ظاهر وقدرة البصيرة لما هو خاف ، ولكن ينطبق عليه نفس قصور السمع فلا يرى ما بعد

عنه أو ما خفى وراء الظواهر وفى الصفات الحسية للانسان مجال كبير للتحسين والتطوير باختراع الآلات والادوات التى تعالج قصور قدراته المحدودة . أما الصفات القلبية فان تحسينها يكون باتجاه انبات الى الله تعالى .

حكم — حكيم : الحكم هو التقدير والتدبير ، والحكمة هى معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم . وهذه الصفات تمكن الباحث من التوصل الى الحكم الصحيح من تدبير المعلومات بالرياضيات والتفكير العقلى وتقدير الخطط والفروض منها . كما تحقق له القدرة على جمع وترتيب الجزئيات فى نتائج كلية صحيحة ونافعة .

عدل : تظهر هذه الصفة فى عدل الباحث مع نفسه أولا فيحكمها بالعقل والدين ويسخر أعضاء جسمه فيما خلقها الله لها . وهو أيضا عدل فى مجتمعه أى يعمل على مافيه مصلحة جماعته ونفعها .

لطيف : وهو من يعلم دقائق الأشياء وغوامضها . فالباحث يتعرض فى بحثه لتفاصيل دقيقة تحتاج الى الصبر والعمل الدؤوب حتى يكشفها ويفسر ما التبس منها وبذلك يتوصل الى أدق أسرارها .

خبير : وهو الذى لاتخفى عليه الأمور الباطنة . فالعلم اذا أضيف الى الخفايا الباطنة سمى خبرة وسمى صاحبه خبيرا . وبذلك لا يقف الباحث عند ظواهر الامور بل يبذل من الجهد ما يجعله خبيرا ببواطنها .

مجيب : وهو الذى يسعف السائلين بالاجابة . وصفة المجيب للعالم تتضمن أن يكون مجيبا لربه تعالى أولا فيما أمره به ونهاه عنه ، ثم مجيبا لمجتمعه فيمده بما أنعم الله به عليه من نعمة

العلم ، فلا يرد طالب علم أو يكتم علمه عما فيه صلاح مجتمعه .

واسع : هذه الصفة مشتقة من السعة وتضاف الى العلم اذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة . كما تضاف الى الاحسان به ونشره على الجماعة . كما يتصف بها العالم عندما تتزايد معارفه وتتسع أخلاقه . فهو واسع بقدر سعة علمه وواسع فى أخلاقه فلا يضيقها حقد أو حسد أو بخل .

باعث : ترجع حقيقة البعث الى احياء الموتى بانشائهم نشأة أخرى . والجهل هو الموت الأكبر . والعلم هو الحياة الأشرف . وقد وقد ذكر الله تعالى العلم والجهل فى القرآن وسماهما حياة وموتا . وبذلك فانه من رقى غيره من الجهل الى العلم فقد أنشأه نشأة أخرى .

شهيد : يوصف الله تعالى بأنه عالم الغيب والشهادة . والشهادة هى ماظهر ويمكن أن يشاهد . ومجال البحث العلمى ينصب على عالم الشهادة لوضع الفروض والاستدلال والاختبار لكشف قوانين الظواهر الكونية . كما يمكنه أن يستدل منها عقلا على ما وراءها من عوالم الغيب . وهذا هو المنهج الذى تحث عليه آيات القرآن الكريم حيث يبنى الايمان بالله تعالى وبما فى عالم الغيب على الدليل والبرهان والاستدلال من الظواهر المشاهدة .

حميد : الحميد المطلق هو الله تعالى . والحميد من البشر هو من حمدت عقائده وأخلاقه وأعماله . والباحث عن العلم حميد بقدر مايحمد له من عقيدته واخلاقه وأعماله وأقواله وأهدافه .

محص : المحصى هو العالم وهو الله تعالى بصفته المطلقة الذى ينكشف فى علمه حد كل معلوم وعدده ومبلغه . واذا أضيف العلم

الى المعلومات وجمعها سمى احصاء • والباحث يجتهد فى احصاء المعلومات مستعينا بما يبتكره من أدوات على تجميع المزيد منها وتحقيق الدقة فيها وان كان النقص متوقعا دائما فيما يحصيه وفيما يتوصل اليه من علم •

حـــى : الحى هو الفعال المدرك حيث أن ما لافعل له أصلا ولا ادراك فهو ميت والله تعالى هو الحى المطلق • وكل حى سواه تكون حياته بقدر أفعاله وادراكه • وبذلك يكون العالم أكثر الناس حياة بادراكه لظواهر الكون وبما يصل اليه من علم ينفع النـــاس •

صـــمد : وهو الذى يصمد اليه فى الحوائج • وبذلك يكون للعالم نصيب من هذه الصفة ، فهو الذى جعله الله مقصد عباده للعمل بعلمه وأجرى على لسانه ويده مافيه الخير لهم •

رشـــيد : وهو الذى تسير خططه وتدابيره الى أهدافها وغاياتها • والباحث يكون رشيدا بقدر احكام عمله للتوصل الى الصواب العلمى وتحقيق أهدافه العلمية •

صـــبور : وهو الذى لاتحمله العجلة الى المسارعة الى الفعل قبل أوانه أو الى النتيجة قبل تحقيقها • والصبر فيه معاناة للباحث لأنه يؤخر توصله للأهداف والنتائج كما يحمله المزيد من المشقة والاحباط ، وكلها عوامل ضد نزعات النفس البشرية التى تميل الى الراحة والسهولة وتعجل النتائج • وهذه الصفة من أهم مايجب أن يتحلى به الباحث العلمى حيث أن طريق المعرفة العلمية بطىء وشاق وقد تنقضى قرون وجهود لآلاف العلماء قبل التوصل الى حقيقة علمية أو حل لمشكلات واقعية • ولله تعالى هذه الصفة دون مقاساة لنزعات ضد الأرادة •

مما سبق نرى أنه يمكن وضع نموذج أمثل للباحث العلمى مستمد من صفات أسماء الله الحسنى بما يؤهله لشرف الانتماء الى فئة العلماء الذين ذكرهم وكرمهم الله فى كتابه الكريم •

فالعالم الحق هو من تتحقق فيه صفات الرحمة بالجاهلين ، والتنزه عن الهوى الشخصى والسلامة من الشر والأذى • وهو الذى يتحقق بعمله الأمن والأمان ويحتاج اليه عباد الله فى تحقيق أهدافهم وتقليل معاناتهم •

والعالم هو الذى يترفع عن كل مايعوقه عن طلب الحقيقة • وهو الذى يكشف العلم ويسبق باجتهاده فى فهم قوانينه ليفتح به السبل لحل المشكلات • وهو الذى لايتوقف عن الاستزادة من العلم سواء فى دقائقه الخافية أو فى دائرته الواسعة ساعيا الى احصاء المزيد من المعلومات والملاحظة والتجريب والتقنين ، مستخدما ما وهبه الله من صفات الحكمة والعدل والحكم والرشد والصبر ، متبعا أصول المنهج العلمى حيث يزن مايتوصل أليه من نتائج فيرفع من شأن مايتحقق صدقه ومطابقته لحقائق الواقع ، كما يستبعد ويلغى مايتضح بطلانه •

والعالم هو من لا يكتم علمه ولا يمنعه عمن يطلبه بل يبسطه للنفع العام بما يبعث ويحى الجماعة البشرية وينقلها من التخلف الى التقدم والرفاهية •

وأخيرا فالعالم الحق هو من يشعر بقيمة وعظمة وثراء الحياة بما يدركه من أبعادها وأسرارها فتزداد خشيته وتقواه لخالق الحياة • وذلك يعطيه شرف الاقتران باسمه تعالى ويرفعه درجات فى الدنيا والآخـــرة •

الخلاصـــة

توصلنا من استقراء آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وشروح بعض أئمة المسلمين الى عناصر تمكننا من الاستدلال على أصول منهج البحث العلمى النابع من التعاليم الالهية • وتشمل هذه الأصول مصادر العلم الانسانى ، وأدوات المنهج العلمى ، والطرق والاساليب المستخدمة فى هذا المنهج ، كما تشمل أيضا الضوابط التى يمكن التوصل بها الى علم صحيح ، وفيما يلى خلاصة لهذه الاصول :

مصادر العلم الانسانى :

* العلم الالهى أو المعرفة الدينية وهى ما أنزله الله فى رسالاته للبشر عن طريق الأنبياء والرسل وختمها بالقرآن الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليكونا جامعين وشاملين لكل ماأنزله اللهتعالى على الانسان من علم يذكر ويوجه ويرشد خطواته فى سعيه للعلم المكتســـب •
* العلم الفطرى أو الأولى وهو ماعلمه الله تعالـــى لآدم وذريتـــه كمعلومات أولية يحتكم اليها الانسان فى ادراكه ويبنى عليها علومه المكتســـبة •
* العلم الموجه وهو مايتولد فى شكل هدى وبصيرة للقلوب يطمئن بها بها الانسان فى تعقله عند وضع الفروض وتحقيقها فى العـــلوم المكتســـبة •
* العلم الحسى وهو الذى يدركه بوسائله الحسية المباشرة أو بما يبتكره من أدوات أكثر دقة لملاحظة الظواهر الطبيعية والانسانية •
* العلم المكتسب وهو الذى يتم التوصل اليه عن طريق عقل الأشياء بالاستدلال والتجريب •

أدوات المنهج العلمى :

* النور الكاشف للحقائق ويشمل آيات الله المقروءة فى كتابه والظاهرة فيما خلقه وما يمنحه الله من نوره لمن يتقرب اليه وكل هذا يضىء طريق الانسان عند نظره ، وتفكره وعقله للحقائـــق الطبيعيـــة والانســـانية •
* الميزان وهو المقاييس التى يتعلمها الانسان من أسلوب القرآن فى التدليل على صحة الحقائق ، ويبنى على ضوئها مقاييس أخرى تمكنه من فهم وتفسير وقياس الظواهر الطبيعية والانسانية •
* التذكر وهو الذى يمكن الانسان من استدعاء مافطـــر فيه مـــن معلومات أولية واستبقاء ماتوصل اليه من علوم مكتسبة •
* القلب أو الفؤاد ، وبه يتلقى الانسان هداية الله فى صورة تبصر أوتوجه مطمئن بما يمكنه من الفهم الصحيح • وهو يختص بعقل التوجـــه •
* الأدوات الحسية وأبرزها السمع والبصر لنقل الوقائع المسموعة أو المشاهدة أنى وعى الانسان للنظـــر والتفكر فيها وعقلها •
* العقل وهو الفهم الذى ميز الله تعالى به الانسان والذى يمكنه من الاستدلال بالمعلوم على المجهول وبالظاهر على الخفـــى ومن تكوين كل العلوم المكتسبة ، وهو يختص بعقل الاثبات والبرهان •

طرق وأساليب المنهج العلمـــى :

* التقرب الى الله تعالى بالعبادة والعمل الصالح المنزه عن الهوى وطلب الحقيقة لذاتها •
* التدرب المستمر على الصفات التى يتحقق بها النموذج الأمثل للباحث العلمى وهى المستمدة من أسماء الله الحسنى •
* الملاحظة الواعية للظواهر الطبيعية والانسانية بكل الوسائل البشرية والآليـــة •

* الدراسة المستمرة للآيات القرآنية واستخلاص ما فيها من اشارات وأمثال موحية بأسرار هذه الظواهر .
* الاستدلال بالنظر والتفكر من الملاحظات الواقعية الحاضرة والماضية والمعلومات الأولية .
* التجريب والتطبيق فى الواقع حتى تتوافق الاستدلالات العقلية مع الوقائع الفعلية .

ضوابط العلم الصحيح :

* التحقق والتثبت بالتحرى والبحث عن أفضل الآدلة والبراهين المؤكدة للحقائق العلمية .
* التعاون فى جمع الحقائق وازالة التناقض والاختلاف فى المعرفة العلمية
* الدقة والأمانة والتنزه عن الهوى عند بحث وعرض النتائج العلمية .
* الاعلان والعلانية للحقائق العلمية فى مجالاتها المختلفة بصورة تمكن من المشاركة والتحسين والتطوير والتكامل .
* المراجعة الدائمة للعلم المكتسب فى ضوء نصوص القرآن والسنة بما يقلل من عوامل التحيز ويحقق أعلى درجات الموضوعية وبصفة خاصة فى العلوم النظرية والاجتماعية .

مفهوم العلم :

من هذه الأصول لمنهج البحث العلمى النابع من التعاليم الالهية، يتضح لنا أن مجال العلم فى الاسلام يشمل كل مايتوصل اليه الانسان من علم بنفسه ودنياه وخالقه .

كما يمكن أن نقرر أن معنى العلم فى الاسلام هو كل مايعقله الانسان من حقائق الوجود ، ماظهر فيها وماخفى ، سواء كان ذلك بالنظر والتفكر أو كان بالاثبات والتحقق . وينتج النوع الأول من العقل العلم النظرى ، أما النوع الثانى فهو ينتج العلم التجريبى. ولاتوجد حدود فاصلة بين مجالات كل من نوعى العلم ، كما أنه لاتعارض فى الأدوات والأساليب الموصلة لهما .

ثالثا : تكامل المنهج الالهى فى المعرفة الانسانية ونماذج من تطبيقه فى الفكر الادارى

٣ ـ ١ تكامل المنهج الالهى فى المعرفة الانسانية :

اذا كان العلم بمعناه الاصطلاحى الحديث ـ هو البحث فى ظواهر الوجود ومنافعها (٦ ـ ص١٤) ، فان العلم فى القرآن والسنة يشمل ماهو أكثر من هذا التعريف المادى للعلم ، فهو مايعقله الانسان نظريا وتجريبيا من حقائق الوجود الظاهرة والخافية لحل مشاكله المادية والمعنوية بالصورة التى تتفق مع تعاليم ومنهج الله تعالى .

واذا كان المعنى الاصطلاحى للمنهج العلمى أنه الطريق المؤدى الى الكشف عن الحقيقة فى العلوم (٩ ، ص ٤) ، فان مشكلة التوصل الى علم صحيح هى فى صميمها مشكلة اتباع المنهج الصحيح.

أن تعريف البحث العلمى يوضح لنا مدى صعوبة طريقه ومدى حاجته الى منهج دقيق متكامل يخفف من مشقة الجهد الذى يبذله الباحثون فيه ويرشد فى نفس الوقت خطواتهم ، كما يحقق لهم الابداع الذى ينشدونه من تكريس حياتهم لهذا الطريق . فالبحث العلى عملية بالغة التعقيد والدقة ، لانه المحاولة الناقدة للتوصل الى حلول للمشكلات التى تؤرق البشرية وتحيرها بصفة مستمرة ، وهو يولد نتيجة لحب الاستطلاع والفضول العلمى ، ويغذيه الشوق العميق الى معرفة الحقيقة (٣٦ ، ص ٥٤) .

ومن عدل الله تعالى ورحمته أنه لم يخلق الانسان عبثا ولم يتركه سدى ، بل جعله خليفته على الأرض وأعانه بمنهج كامل للكشف عن الحقيقة فى كل من العلوم الدينية والدنيوية . وهذا هو المنهج الذى يمكن أن نطلق عليه المنهج الالهى فى المعرفة الانسانية أو أصول منهج البحث العلمى .

وقد استخلص الامام الشافعى (*) من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة منهجا لنتوصل الى الأحكام فى العلوم الدينية • وقد وضع هذا المنهج فى كتابه «الرسالة» الذى كان أول ماألف فى أصول الفقه الاسلامى ، فكان بمثابة قانون كلى يتضمن مجموعة من القواعد التى يبنى عليها استنباط أحكام علم الفقه من الأدلة الشرعية • (١٧ — ص ١٣) •

وقد كان اتجاه الامام الشافعى فى الرسالة هو اتجاه العقل العلمى الذى يهدف الى ضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول تجمعها فى شكل منهج يتخطى التفاصيل الى القواعد العامة • هذا المنهج فى حقيقته هو الطريقة الاستدلالية بشقيها الاستقراء والاستنباط وقد سمى بالمنهج الأصولى •

ويتلخص منهج أصول الفقه للشافعى فى استقراء النصوص القرآنية والأحاديث النبوية • والتوصل منها الى أحكام كلية تستنبط منها أوتقاس عليها الأحكام الجزئية الجديدة ، وذلك بضوابط معينة حتى تتحقق الدقة والسلامة فى هذه الأحكام •

وفيما يلى نحاول أن نوضح أن اتباع اصول منهج البحث العلمى الذى توصلنا اليه فى هذا البحث وهو النابع من القرآن والسنة يمكننا من التغلب على مشاكل المنهج المادى للبحث العلمى واستكمال النقص فيه •

١/١/٣ عمليات الاستدلال والتحقق :

يتلخص المنهج العلمى المادى الحديث فى أن الباحث يبدأ باستقراء ظواهر الوقع ومشكلاته ، ثم يستنبط مما جمعه من معلومات جزئية فروضه العلمية التى تفسر هذه الظواهر والمشكلات • ثم تخضع هذه الفروض للتحقق والتجريب حتى تثبت صحتها •

(*) (٧٦٧ — ٨١٩ م) •

وقد تغلب هذا المنهج الحديث على فشل المنطق العقلى الذى وضعه أرسطو والذى لم يكن يزيد عن أنه تدريب عقلى أكثر منه منهج للتوصل الى الحقيقة • فقد كان الاستدلال فى هذا المنطق يتم بالاستنباط من مقدمات يحتمل أن تكون غير صحيحة أو غير صادقة فى الواقع بما يؤدى الى أن تصبح النتائج المشتقة منها قليلة الفائدة رغم احتمال صدقها بالمنطق العقلى • (٣٦ — ص ٣٦ ، ٤٤) •

وقد نجح المنهج الذى أقترحه بيكون — فى أوائل القرن السابع عشر — جزئيا فى الخروج بالبحث العلمى من الصورية الى الواقعية ، باستخدام الطريقة الاستقرائية للواقع فى الاستدلال حتى يمكن التوصل الى معرفة يقينية • فقد طالب بيكون الباحث العلمى بحصر وتبويب كل الحقائق المتعلقة بالطبيعة بحثا عن مصدرها للوصول الى جوهر الظواهر ، وهو مايصعب بل يستحيل تحقيقه لأنه أمر فوق طاقة البشر ، كما أنه لم يكن من الممكن استخدام هذا المنهج فى بحث ومعالجة معظم المشكلات • (٣٦ — ص ٤٦) •

وقد أصبح المنهج العلمى الحديث — بعد تطويره — أكثر واقعية وفاعلية فى تحقيق معرفة موثوق بها • حيث أحل التجميع الهادف للحقائق محل التجميع الكى ، ووضع الاختبار المحدود لهذه التجميعات بدلا من التفسير الكامل لجوهر الظواهر وذلك فى خمس خطوات • وتتلخص هذه الخطوات فى الشعور بمشكلة البحث ثم حصر وتحديد المشكلة واقترح حلول لها تسمى الفروض ، واستنباط نتائج الحلول المقترحة، ثم اختبار هذه الفروض عمليا للتحقق من درجة صدقها • (٣٦ — ص ٤٨ ، ٤٩) •

وبرغم التحسينات المستمرة على أساليب منهج البحث العلمى المادى ، الا أنه لم يمكن التوصل بعد الى منهج كامل للبحث عن الحقيقة فى كل العلوم • فقد أثبت المنهج العلمى الحديث فائدته للعلوم الطبيعية،

ولكنه لم يكن أداة مناسبة للبحث فى المشكلات الاجتماعية • (٣٦ — ص ٥٣) •

ويقرر الدكتور زكى نجيب محمود أن علماء المنهج العلمى المادى مازالوا يختلفون الى الآن حول أى الأسلوبين أصدق فى البحث ، الاستقراء الذى يعطى نتائج محتملة الصدق أم الاستنباط الذى يضمن اليقين بشرط أن تكون مقدماته يقينية ، أو انه لابد من الجمع بينهما • (٤٨ — ص ٧٧ ، ٧٨) •

كذلك يقرر بعض العلماء أن دراسة تاريخ العلم تبين لنا أن نتائجه تظل صحيحة خلال فترة محدودة من الزمن ، وأن التقدم فى العلم لايتم عادة الا عند اكتشاف الظروف التى لاتصبح فيها هذه النتائج المقبولة قابلة للتصديق • (٥٤ — ص ١) •

لقد اتضح لنا فى هذا البحث أن المنهج الالهى فى الاستدلال يتميز بأنه يجمع بين الاستقراء للواقع والاستنباط المبنى على هدى نصوص الآيات القرآنية والأحاديث النبوية • وهو بذلك يتغلب على نواحى القصور فى المنهج العلمى المادى باضافة مصادر أعلى للعلم لتكوين الفروض ، خاصة فى العلوم الاجتماعية • هذه المصادر تتفوق على ما يحصله الانسان بقدراته الحسية والعقلية المحدودة • كما يمكن هذا المنهج الباحث من استخدام أدوات وأساليب للمعرفة العلمية اوسع مما يحدده فيه المنهج المادى وذلك عند الملاحظة والتفكر والعقل •

٣ — ١ — ٢ القدرة على الشمول :

يرى ريتشنباخ — فى مقال له عن المعنى الفلسفى لنظرية النسبية (*) أنه اذا كان الاحساس يخدعنا بالنسبة لادراك الأشياء،

(*) Hans Roichenbach, « The Philosophical Siqnificance of The Theory of Relativity, Ref. No. 56. pp. 59 — 74.

وأن أى حقيقة يمكن ادراكها لايتم الا بأسلوب الاحتمال ، فان ادراكنا يمكن تصحيحه اذا كانت ملاحظتنا شاملة للماضى والحاضر والمستقبل• فما يحتاجه العالم لاكتشاف الحقائق هو القدرة التنبؤية ، ولن يجد طريقه لذلك الا اذا كان يتزود بايمان يوجهه فى وضع تخميناته أوفروضه• ويؤكد ريتشنباخ وجهة نظره بأنه سأل أينشتين (**) عن كيفية اكتشافه لنظرية النسبية فأجاب بأنه وجدها لأنه كان معتقدا اعتقادا قويا بالانسجام فى الكون •

وقد اتضح لنا فى هذا البحث أن المنهج الالهى يستخدم الاشارات الموجية والامثال فى توجيه وتعليم الانسان حقائق الكون • وذلك بتقرير حقائق عامة أو تشبيه ماخفى بما هو ظاهر ، وماهو مشاهد بما هو غائب لابراز ما خفى وماغاب عن بصر وسمع الانسان فى صور محسوسة حتى يعقله ، ثم يتحقق من صحته فى الواقع بالأساليب التجريبية •

فالعقل فى الانسان تتجمع لديه المعلومات الحسية ويحتكم الى المعلومات الفطرية الأولية ومنها يولد العلوم المكتسبة • فاذا عجز الانسان عن ادراك حقائق الكون الكبرى لأنه محدود فى فكرة وعقله بحدود مايشاهده ومايألفه فى عالمه ، فان الله تعالى يعطيه من السنن العامة والاشارات ، ومن الأمثال عن هذه الحقائق مايقربها اليه ويوسع آفاقه للمعرفة العقلية ومنها يولد المعرفة العلمية المحققة•

ان قول اينشتين بأن الكون يحتوى على أبعاد أربعة لاثلاثة وهى المكان — الطول والعرض والارتفاع — والزمان الذى فسره بتحدب الفضاء وانتفافه على نفسه بحيث يصير كالكرة (٢٥ ، ص ١٧٧) ، هو قول يصعب على الانسان فهمه بما يألفه من حدود المكان الذى يعيش فيه بابعاده الثلاثة فقط • فالانسان بقدراته المحدودة لايستطيع

(**) عالم امريكى (١٨٧٩ — ١٩٥٥ م) •

أن يدرك هذا البعد الرابع وهو الزمان وما يؤديه فى تشكيل الأجرام السماوية وحركاتها • ولكنه عندما يقرأ آيات الله فى القرآن الكريم مثل : «••• كل فى فلك يسبحون• » (الأنبياء — ٣٣) ، «والشمس تجرى لمستقر لها •••» (يس — ٣٨) ، «••• وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى •••» (الرعد — ٢) يمكنه أن يدرك فيعقل ما لم يألفه فى ظواهر حياته • فلو كانت أبعاد الكون ثلاثة فقط لكان من الأحجام ذات الأضلاع وليس دائريا فى صورة أفلاك تدور من الذرة الى المجـــرات •

واذا كان يصعب على الانسان تفهم الحل الذى وضعه أنشتين لمشكلتى الزمان والمكان فى صورة معادلة واحدة ، بحيث صار المكان والزمان واحد فى نظره (٢٩ — ص ١٧٨) ، فان العلم الذى ساقه الله تعالى لنا فى الآيتين الاخيرتين عن ظاهرة جريان الشمس يحقق المعنيين فى عبارة واحدة • حيث نجد معنى المكان فى لفظ تجرى ومعنى الزمان فى لفظى «لمستقر» «ولأجل مسمى» أى أنها ستتوقف وتستقر عند انتهاء زمن الكون •

فى ضوء هذه الآيات يمكن أن يكون الباحث فروضه العلمية ويمكن له أن يتغلب على أدواته الحسية والعقلية المحدودة بما يشاهد ويسمع وبما يحتكم اليه مما ألفه واطمأن اليه فى الواقع •

ولاينكر المنهج العلمى المادى قدرة الانسان على التصور والخيال الذى يبدأ منه فى تكوين فروضه العلمية • فيلاحظ بعض العلماء أن كل اكتشاف وكل توسع فى العلم يبدأ كتصور خيالى قبلى لما قد يكون عليه فى الحقيقة • وهذا الفرض الخيالى ينشأ نتيجة لعملية قد يسهل أو يصعب فهمها كأى عمل خلاق من أعمال العقل • ويفسر هؤلاء العلماء الخيال بأنه موجه عقلية أو تخمين ملهم أو نتيجة للمحة نافذة متوهجة من لمحات البصيرة • وهذا العمل الخلاق يصدر من داخل النفس ولا

يمكن الوصول اليه عن طريق تطبيق أى خطـوات محسوبة لعمليـة الاكتشاف • (٣٧ ، ص ١٠٩) •

ونحن نجد التفسير الصحيح لرأى هؤلاء العلماء فى أصـول منهج البحث العلمى • فكما أن هذا المنهج يهىء الباحث لتلقى الحقائق وتعقلها ، فان مداومة قراءة نصوص القرآن والسنه توجه قلبه وتضىء خياله بهذه الحقائق فيرى بنور البصيرة ويهدى الله ويتذكر بما فطر فيه من معلومات أولية ما يعينه على الربط والاستنباط لفروضـه العلميـة •

والخلاصة أن الشمول للماضى والحاضر والمستقبل والقدرة على تخطى حدود الزمان والمكان لاتتحقق للباحث بأدواته ووسائله المادية المحدودة • وانما يتحقق هذا الشمول باضافة أدوات ووسائل أخـرى تبناها فى المنهج الآلهى ، وهى النور والتذكر والتبصـر والعقـل ، والتعرض الدائم لهدى الله •

٣ — ١ — ٣ الموضوعية والرشـد :

نظرا لأن العلم صحته نسبية ولايتم الا باسلوب الاحتمال فان مايحتاجه الباحث هو معيار للصدق لمعرفة مدى التعقل أو الرشد فيما يتوصل اليه من نتائج : (٥٦ — ص ٣٥٧) • وقد قررت بعض الأبحاث أن التعصب صفة أصيلة فى العقل البشرى وأن الحياد أمر طـارىء عليه ، كما توصل علم وظائف الأعضاء الى مدى بعيد فى فحص النشاط الكهربى لمخ الانسان (*) ، يتمثل فى التبادل الهاتفى أى الاتصال بين الخلايا العصبية ، لكنه لم يوصلنا بعد الى فهم عملية العقل (**) التى ينشأ عنها ما هو أكبر وأكثر من مجرد التبادل ، وهو كيفية تفاعل

(*) Brain.
(**) Mind.

الافكار والرغبات والتوقعات والدوافع ، وحتى الآن لم يتم قياس المعقل كشكل للطاقة التى هى مصدر كل الظواهر الحية فى الانسان ، وبذلك يظل السؤال عن العلاقة بين المخ وعملية العقل وهذه التفاعلات بلا اجابة (***) .

فاذا كان العلم عاجزا عن معرفة كيف يعقل الانسان فانه عاجز بالتالى عن قياس درجة الرشد والصدق فيما يتوصل اليه العقل من علوم . فالمخ البشرى تبعا لما توصل اليه العلم ماهو الا حاسب آلى يتهيأ لتطبيق عملياته بناء على المعلومات التى يغذيه بها الوعى البشرى ، وهذا الوعى لم يصل بعد العلم المادى الى مصدره (٥٦ ، ص ١٥١) .

لقد اتضح لنا فى نتائج البحث أن التذكر الصحيح وهو العلم والوعى بحقائق الوجود يتم من خلال استرداد الانسان لما أودعه الله فى فطرته من معلومات ، واستبقاء مايدركه مما يحيط بسمعه وبصره وحواسه من مشاهدات ومايتوصل اليه بعقله من استنتاجات ، كل ذلك فى اطار منهج الله والاستعانة به . كذلك اتضح لنا أن التعصب ليس صفة أصيلة فى عقل الانسان ولكنه أحد الصفات التى تطرأ عليه بسبب ابتعاده عن منهج الله .

من ذلك نرى أنه يمكن أن تتحقق درجات الموضوعية والحياد والرشد للباحث العلمى كلما نجح فى اتباع أصول المنهج الالهى فى المعرفة . فيكون الحق غايته ، ويكون اتجاه قلبه لنور الله وسيلته ، وتكون ملاحظاته وتحليلاته لموضوع بحثه دقيقة منزهة عن المآخذ والهوى .

ولايتم هذا التجرد للباحث الا اذا أخلص نيته تماما لوجه الله

(***) Charles Sherrington, « Man in His Nature », Ref. no. 56, pp 157.

تعالى ، واستهدف ببحثه رضاه بكشف الحق كما خلقه الله تعالى . وبذلك يصل الى أعلى درجات الموضوعية والحياد والرشد فى عملية البحث العلمى .

٣ ـ ١ ـ ٤ القدرة على ازالة التناقض والسلبيات :

يرى كارلسون (*) أن مستقبل الحضارة يحتاج الى تجديد الايمان بأهداف التعليم وبصفة خاصة التعليم العالى ، وان الجامعات الامريكية تعانى من تصلب الشرايين الذى يمنع الاتصال أو الحوار بين الباحثين فى مختلف أنواع العلوم . وتحتاج هذه الجامعات الى معلمين يتناولون العلم ككل ويطورنه بالعلوم الانسانية والطبيعية والتاريخية ، فى حين يحتاج المجتمع الى خبراء مهنيين فى كل التخصصات . ومن التفاعل الخلاق بين التكامل والتخصص يمكن انتاج مواطنين يبحثون عن المعانى الحقيقة ويكتشفون مواطن الكذب والوهم ويتخلصون من ضيق الآفق المحكوم به المجتمع الذى يعتمد فقط على الخبراء المتخصصين . وبذلك فقط يمكن أن تتجه الحضارة الى الامام .

كما عرض مكارنى (**) الانتقادات الموجهة الى العلم الحديث فى عشر نقاط نوجزها فيما يلى :

ـ العلم ضيق ومحدود أى غير شامل حيث لايتعرض لما لايمكن قياسه أو اختياره .

ـ منهج العلم تحليلى أكثر منه تخليقى ، والتحليل وحده يهدم ولايحقق البناء المتكامل .

(*) رئيس جامعة نيويورك عام ١٩٥٨ فى خطاب له أمام المؤتمر القومى الامريكى للتعليم العالى — مرجع رقم ٥٦ ، المقدمة .

(**) Hqrold E. Mcarthy, « Science & Its Critics », Ref., no. 56. pp 435 — 440.

— العلم تبسيط للظواهر ولايشمل كل تعقيداتها .

— الاقرار بالعلم يتم ذاتيا بالتجريب والاختبار ولايضمن ذلك التأكد التام .

— العلم مادى تماما .

— العلم متشائم أساسا ويرفض ثلاثة جوانب جوهرية وهى حرية الارادة والخلود ، ووجود الله لأنه لايستطيع أن يبرهنها .

— العلم يرفض الحدس بالوجدان أو البديهة .

— العلم يعطى معرفة نسبية محددة بقدرات وامكانيات الانسان. ولذلك فان المعرفة المطلقة التى يبحث عنها الانسان يجب أن تأتى من نظم اضافية أسمى .

— العلم هو استخدام الذكاء العقلى بشكل صارم ، وهذا يعنى القضاء فى الأجل الطويل على الاتجاهات الجمالية والأخلاقية والدينية لخبرات الانسان .

— وأخيرا فان العلم يوجه الى التدمير برغم أنه آلة محايدة فى ذاته .

وقد فند مكارثى أغلب هذه الانتقادات . وانتقد الدعوة الى احياء العقيدة الدينية لاعطاء التكامل والرشد والتطور والنمو للعلم من أجل تحقيق السلام والرخاء . وذلك حتى لايكون فى هذا الاحياء عودة الى الحروب الدينية والهجوم على العلماء الذين لا تتوافق نتائجهم مع التعاليم المسيحية . كذلك اعتبر أن هذه الانتقادات ماهى الا رغبة البعض فى تعليق متاعبنا وتعصبنا وعدم رشدنا على شماعة العلم .

والواقع أن كل هذه الانتقادات صحيحة اذا نظرنا الى العلم بمفهومه المادى . ولكننا اذا أستخدمنا مفهوم العلم فى ضوء المنهج

الالهى فاننا نستطيع أن نتغلب على هذه الانتقادات ، بشرط اتباع أصول هذا المنهج كما تبيناه . واذا كانت هذه الشروط تبدو صعبة التحقيق فان البداية يجب أن تكون بالاعتراف بها والسير فى اتجاهها وليس انكارها ، وذلك اذا كنا نبغى حقيقة التخلص من سلبيات المنهج العلمى المادى .

٣ ـ ١ ـ ٥ العلاقة بين الدين والعلم :

يعتقد بر تراند راسل (*) أن نمو العلم يرتبط بحافز انسانى ذو شقين ، الحب والسيطرة . فقد نبحث فى شىء ما اما لاننا نحبه أو لاننا نرغب فى السيطرة عليه. وهو يرى أن الشق الاول يؤدى الى ذلك النوع من المعرفة الفكرية التأملية . والشق الثانى يؤدى الى النوع العملى الذى تظهر نتائجه فى التصنيع والأساليب التقنية المادية ، وفى الفلسفات المادية مثل الفلسفة العملية (البراجاتية) والتفسير المادى للتاريخ .

كما يعتقد راسل أنه بعد أن كان العلم يؤمن بالحق أصبح يعترض عليه ، لان الايمان العقائدى لايتفق مع طبيعة الشك العلمى وبهذا حدث انفصام بين الدين والعلم . وهذا الانفصام مصدر خطر على الانسان لاننا لايمكن أن نقبل علما يؤدى الى هذا الوضع الخطير . فالعلم خير والجهل شر ، وقوة العلم ليست غاية فى الحياة ولكنها وسيلة لغايات أخرى . ويتساءل راسل عن غاية الحياة ، ويجيب أنه يصعب تحديدها بشكل عام ، لكنها بالنسبة لاى انسان هى تحقيق ما يرغبه بعمق ومايعطيه السلام ، بل مايعطيه البهجة والسعادة .

وتتفق آراء راسل مع دافع وغايات العلم فى المنهج الالهى . فآيات القرآن فى حثها للانسان على العلم تؤكد على كل من جانبى الحب والمنفعة،

(*) Bertrand Russell, « Science and Value », Ref. No. 55, pp. 596 — 601.

وذلك باظهار التناسق والتكامل والجمال فى ظواهر الكون ، كما أنها تشير فى نفس الوقت الى ما فيها من منافع للناس • ونضيف الى آراء راسل أن العلم المنهج الالهى يعنى للانسان أكثر من مجرد تحقيق حاجاته المادية والمعنوية ، فهو يحقق له مسئولية الخلافة على الارض•

ويرى أينشتين (*) أن الطريقة العلمية لاتعلمنا أكثر من كيفية ارتباط الحقائق وتأثيرها فى بعضها البعض • وهذه المعرفة عن ماهية الأشياء التى نبحثها لاتعلمنا مايجب أن نفعله بها وكيف نوجهها • فالمعرفة المادية تمدنا بآلات قوية للوصول الى غايات معينة ، ولكن الهدف النهائى نفسه والمدى الذى يجب أن نصل اليه يأتى من مصدر آخر هو العقيدة • وعندما لم يستطع أينشتين الاجابة عن ماهية العقيدة التى يستمد منها الباحث هدفه فانه يحول السؤال الى ما الذى يميز آمال وطموحات الباحث المتدين • ويجيب على ذلك بأن هذا الباحث هو الذى يعطى أفضل قدراته والذى يحرر نفسه من الرغبات الانانية، ويشغلها بالافكار والمشاعر والآمال السامية ، وهو الذى لايوجد لديه شك فى معنى الأهداف والمثل العليا فهى موجودة كحقيقة مثل وجوده هو• وبهذا المعنى يكون المتدين هو كل ماكرسته البشرية منذ القدم لتصبح ذات وعى أوضح وأكمل بالقيم والأهداف ، وقد انتهى أينتشين الى أن العلم بدون دين أعرج ، والدين بدون علم أعمى •

واذا حللنا رأى أينشين فى ضوء المنهج الالهى فى المعرفة الانسانية نجد أنه قد توصل الى أهمية الوحدة بين الدين والعلم ، وما يجب أن يتصف به الباحث العلمى ، ولكن تحليله وتشبيهه للعلاقة بين الدين والعلم كان مبينا على الدين المسيحى الذى اقتصر على القيم الروحية• وهذا لا ينطبق على الدين الاسلامى الذى لا يفصل بينهما •

(*) Albert Einestein, « Science. Philosophy and Religion », Ref. no. 56. pp. 601 — 607.

(**) جيمس جينزا ، مرجع رقم ٦ ، صفحة ٣٧ ، ٣٨ •

ويقرر أحد علماء الغرب (**) بشأن حدود العلم المادى وعجزه عن التوصل الى حقائق الوجود • «••• لانستطيع أن ندعى أننا لمحنا أكثر من بصيص ضعيف من النور ••• وربما كنا واهمين تماما فى لمح هذا البصيص بالتجربة الموضوعية ••• ان العلم المادى كلما تقدم فى أبحاثه التى تتزايد وتتضخم يوما بعد يوم ، يرى أن أكثر قضاياه وضوحا تخفى فى طواياها جيشا عظيما من الأسرار • ومازال هذا شأنه ، كلما وصل الى منطقة من مناطق البحث ، وخيل له فيها أنه بلغ الغاية بدت له مناطق أخرى بعيدة المدى تتصل فى حقيقتها ووجودها بعالم المعتقد الذى هو عالم الوجدان والايمان»

وهذا الحكم على العلم المادى ومنهجه من الوضوح بما لايحتاج الى المزيد • وهو يؤكد أن النموذج الاسلامى للمعرفة هو النموذج الحق للعلم الحق • وأن أصول منهج البحث العلمى النابع من القرآن والسنة هو الطريق المؤدى الى الكشف عن الحقيقة فى كل العلوم •

٣ ــ ٢ نماذج التطبيق فى الفكر الادارى :

لم تكن الحضارة العربية الاسلامية وليدة المصادفة ، بل كانت نتيجة منطقية لما جاء به الاسلام من منهج للعقيدة والسلوك والفكر والعمل • وقد طبق الخلفاء والعلماء المسلمون المنهج الالهى فى المعرفة — عملا وفكرا — فحملوا لواء العلم والتقدم الحضارى على مدى خمسة قرون منذ بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فى القرن السابع الميلادى الى أن تخلوا عن أتباع هذا المنهج فى القرن الثانى عشر ، فانهارت دعائم الحضارة الاسلامية • (٢٤ ، ص ٥٠٦) •

ونوجز فيما يلى بعضا من نماذج تطبيق المنهج الالهى فى المعرفة فى مجال الفكر الادارى الاسلامى ، لانذكرها للاتباع بل للاسترشاد واثبات صلاحية الشريعة الاسلامية بمنهجها العلمى للتطبيق فى مجال العلوم الادارية فى كل العصور ، حيث ينهى هذا المنهج عن التقليد

ويأمر بالنظر والتعقل والتفكر والاجتهاد لتحقيق مصالح البشر فى فى كل زمان ومكان ٠

١/٢/٣ النظام الادارى للدولة وتفويض السلطات :

تكونت المقومات الادارية للدولة الاسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فى نص مكتوب عرف فى التاريخ باسم الصحيفة ، «أو دستور المدينة» وتضمن أن جماعة المؤمنين وحدة سياسية اجتماعية اقتصادية قائدها الرسول عليه الصلاة والسلام وقانونها القرآن والسنة وتجمعها عقيدة الاسلام ، وأفراد هذه الجماعة متكافلون فيما بينهم ومتساوون فى الحقوق والواجبات ، والمعاملات بينهم تجرى على أساس «المعروف» أى العرف الذى يقبله العقل والدين ويرضاه الناس (٣٨ ، ص ٧٨ — ٨١) ٠

وهذه الصحيفة نموذج لما تضعه الدولة الاسلامية من نظام ادارى وسياسى يتناسب مع حاجات الجماعة فى أى مرحلة من مراحل تطورها، والشرط الاساسى فى هذا النظام أن يكون مستمدا بالاجتهاد من قواعد الاسلام ومبادئه الخلقية والعملية والعقائدية ٠ وقد تكونت الامة الاسلامية فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام من تسع وحدات المهاجرون احداها والباقى من قبائل أهل المدينة ٠ وكل وحده تعمل بنظامها الخاص الذى ينشأ من العرف الجارى لها وعلى أساس العدل والمساواة بين أفرادها ٠ والأمة فى مجموعها مسئولة عن الأمن الداخلى بمحاسبة كل معتد أو مفسد فى الجماعة ، وعن الأمن الخارجى بمحاربة أعدائها والتكافل فى نفقات الحروب وافتداء الأسرى ودفع الديات، وعقد المعاهدات باتفاق كل وحدات الجماعة ، واذا وقع خلاف بين وحدات أو أعضاء الجماعة فالحكم للرسول ليقضى فيه بما أمر الله (٤٠ — ص ص ١٥ — ١٧) ، (٣٩ — ص ص ١٨ — ٢٣) ٠

وفوض الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياته أمر اليمن الى عمرو بن حزم ووضع له أسس العمل فقال : «هذا بيان من الله ورسوله يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود عهدا من محمد النبى رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه الى اليمن أمره بتقوى الله فى أمره كله فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه ٠٠٠ ويخبر الناس بالذى لهم والذى عليهم ويلين للناس فى الحق ويشتد عليهم فى الظلم فان الله كره الظلم ونهى عنه فقال ألا لعنة الله على الظالمين ٠٠» (٢١ م ج١ — ص ٢٤٨) ٠

وقد اقتضى تطور الدولة العربية الاسلامية واتساعها وجود الامارات وتفويض السلطات الى مستويات ادارية تلى الخليفة وتقوم بادارة شئون الامارات تحت توجيهه واشرافه ورقابته ٠ وحيث أن علم الفقه الاسلامى من طبيعته أن يساير التطور فقد درس الفقهاء طبيعة الامارات وأحكام السلطة فيها فقسموها الى نوعين من السلطات ، ولاية عامة وولاية خاصة ٠ وسلطة الولاية العامة مطلقة فى أمور الدنيا والدين ويكون للوالى النظر فى تدبير الجيوش وجهاد العدو والنظر فى الأحكام وتقليد القضاة والحكام وجباية الخراج وجمع الصدقات وحماية الدين والدفاع عن الحرمات والامامة فى الصلاة واقامة الحدود فى حق الله وحق العباد ٠ أما الولاية الخاصة فسلطتها تقتصر على تصريف شئون الرعية دون أن تتعرض للقضاء والأحكام والجباية والصدقات والخراج ٠ وقد أطلق الفقهاء على الوالى لقب العامل تأكيدا على أنه ليس مطلق السلطة وأنه مفوض يستمد سلطته من الخليفة (٢ — ص ١٧٤ ، ١٧٥) ، (٣٢ ، ص ٦٩ ، ٧٠) ٠

وقد قسمت الدولة فى عهد أبى بكر رضى الله عنه الى أثنى عشرة امارة صغيرة ، وفى خلافة عمر بن الخطاب قسمت الى تسع

امارات كبيرة ، وبلغت الدولة الاسلامية أقصى اتساعها فى عهد الأمويين فقسمت الى أربعة عشر مقاطعة كبيرة • وقد أهتم الخلفاء الراشدون بتشجيع مواطنى الأقاليم على اختيار من يرونه أصلح لحل مشاكلهم الداخلية • ومن أمثلة ذلك مشكلة اختلاف الخراج بين أقاليم الشام والعراق وجزيرة العرب لاختلاف نظم الرى فيها • وقد اختار كل اقليم من خبراء أهله من يقوم بتقدير الخراج المناسب لظروفه وطبيعته، ويدل ذلك على أن الخلفاء الراشدين تنبهوا الى أهمية لامركزية الأداء مع اهتمامهم بتماسك الأقاليم فى أمة عربية واحدة تحكم بتعاليم الله تعالى ، كما جاء فى خطبة عمر لنولاة « ••• ألا وانى لم أبعثكم أمراء ولاجبارين ولكن بعثتكم أئمة للهدى يهتدى بكم» (٣٢ ، ص ٦٨)

وقد اشترط عمر بن عبد العزيز على الخليفة الوليد بن عبدالملك عندما عينه أميرا على الحجاز أن يترك له حرية العمل حيث كان يشعر بوجود ظلم يريد أن يرفعه ، وقد أجابه الوليد الى طلبه وقال «اعمل بالحق وان لم ترفع الينا درهما واحدا» • كما كان من عمال الخليفة هارون الرشيد من أبدع طرقا جديدة فى الادارة لما كان من توسعه فى سلطاتهم بعد حسن أختيارهم والثقة فى قدرتهم وتقواهم •

٢/٢/٣ القيـــادة :

وضع الرسول عليه الصلاة والسلام بأحاديثه أسس الصلاحية للقيادة منها قوله لأبى ذر الغفارى عندما سأله أن يستعمله على بعض الأعمال «يا أبا ذر إنك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خـــزى وندامة الا من أخذ بحقها وأدى الذى عليه فيها» ، «انا لاتولى هذا العمل أحدا سأله أو أحدا حرص عليه» • (٢٨ ، ص ٢٠٧) •

وقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم النص على من يخلفه فى رئاسة المسلمين حتى يؤكد مبدأ الشورى الذى أشارت اليه آيات

القرآن والتى لم تنص على طرق معينة للاستخلاف • وقد أختار أبوبكر لقيادة الأمة الاسلامية من بعده عمر بن الخطاب مجتهدا فى ذلك وقال فى عهده اليه «ان هذا الامر لا يحتمله الا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه، أشدكم فى حال الشدة وأسلككم فى حال اللين وأعلمكم برأى ذوى الرأى لايتشاغل بما لايعنيه ولايحزن لما ينزل به ولايستحى من المتعلم ولا يتحير عند البديهة ، قوى على الامور ، يرصد لما هو آت عتادة من الحذر والطاعة ••• اللهم انى لم أرد بذلك الا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فاجتهدت لهم برأيى فوليت عليهم خيرهم وأحرصهم على ما أرشدهم • وعندما قال عمر لاحاجة لى فيها ، كان رد أبو بكر «ولكن لها بك حاجـــة» (٤ ، ص ص ٤٥ — ٤٩)

ومن الفكر الادارى لعمر فى اختيار القيادات قوله «دلونى على رجل أستعمله اذا كان فى القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم، واذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم (١٨ ، ص ٨٣) وقوله : «من استعمل رجلا لمودة أو قرابة لايستعمله الا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» ، «من استعمل فاجرا وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله » (٤ ، ص ٦٧) •

وفيما كتبه الخليفة المأمون عند اختيار أحد وزرائه مايبين مدى دقة الفكر الادارى فى اتباعه المنهج العلمى فى الاستدلال عند اختيار القادة ، حيث يقول : «انى التمست لأمورى رجلا جامعا لخصال الخير ، ذاعفة فى خلائقه ، واستقامة فى طرائقه ، قد هذبته الآداب ، وأحكمته التجارب ، اذا أؤتمن على الأسرار قام بها ، واذا قلد مهمات الامور نهض بها ، يسكته الحلم ، وينطقه العلم ، وتكفيه اللحظة ، وتغنيه اللمحة ، له صولة الامراء ، وأناة الحكماء ، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء» (١١ ، ص ١٦٧ •

ويستخدم الامام ابن تيمية مقياس الصلاحية للولاية من آيات القرآن الكريم فى قوله تعالى «ان خير من استأجرت القوى الأمين» (القصص — ٢٦) ، «انك اليوم لدينا مكين أمين» (يوسف — ٥٤) • ومن ذلك يرى أن للولاية ركنان هما القوة والامانة وان القوة فى كل ولاية بحسبها ، فالقوة فى الحرب ترجع الى شجاعة القلب ، والقوة فى الحكم ترجع الى العلم والعدل ، والواجب تقديم الأنفع فى كل ولاية ، فمن الأعمال التى يقدم فيها الأمين ولاية حفظ المال ونحوها• واذا كان فيها استخراج المال ممن هى عليهم (كالخراج أو الضرائب)ثم حفظه لينفق فى مصالح الأمة فلابد فى هذه الولاية من قوة وأمانة وبذلك يولى عليها عاملا قويا ليستخرجها بقوته وكاتب أمين يحفظها بخبرته وأمانته • وهكذا فى سائر الايات اذا لم تتم المصلحة والكفاية بواحد جمع بين عدد من الولاة (٥٣ ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨) •

٣/٢/٣ الشـــورى :

استشار الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين آمنوا برسالته ولازموه تطبيقا لقوله تعالى : «وشاورهم فى الأمر» (آل عمران — ١٥٩) • وبذلك تكون مجلس الشورى فى عهده من الصحابة الذين اختبرت صلاحيتهم من خلال المحن والشدائد والتجارب والبلاء فى الدفاع عن الدعوة الوئيدة • واستعان الخلفاء الراشدون بمجلس للشيوخ يتألف من كبار الصحابة وأعيان المدينة ورؤساء القبائل ويجتمع فى مسجد المدينة ولايتخذ الخليفة أمرا دون استشارتهم (٢٥، ص ٢٧٣ ، ٢٨٥) •

ولم تقتصر الشورى على مايتم فى مجلس الخلفاء ، ولكنها كانت عامة لكل من يستطيع المشاركة بالرأى ، فكان بذلك باب الشورى مفتوحا لكل انسان رجلا كان أو امرأة صغيرا أو كبيرا • وقد جعل عمر بن الخطاب موسم الحج موسما عاما للمراجعة والمحاسبة واستطلاع الآراء

يستشير فيه جميع من يفد اليه من الولاة والعمال والرقباء ويشير عليهم ، كما يستمع فيه لأصحاب المظالم والشكايات ويسمعهم • ويتوخى فى كل ذلك تمحيص الرأى الأصيل وخاصة من ذوى الخبرة لخبرتهم ومن الأحداث لحدة عقولهم • ويؤثر عن عمر قوله تقواده • اسمع من أصحاب رسول الله ، واشركهم فى الأمر ، ولاتجتهد مسرعا بل اتئد» ، وقوله «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحكم ، وتواضعوا لمن تتعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمون» (١٨ ، ص ص ٨٢ ، ٨٤ ، ص ١٩٢) •

وقد طبق عمر عمومية الشورى من فهمه لقول الله تعالى : «وأمرهم شورى بينهم» (الشورى — ٣٨) • وضرب مثلا يحتذى فى اتباعه لأصول المنهج العلمى والحكم بالحق عندما يتضح له حتى لو خالف رأيه ، وذلك عندما أمر المسلمين بألا يزيدوا فى مهور النساء عن أربعمائة درهم (أو أربعين أوقية) ومن زاد ألقيت زيادته فى بيت المال ، فراجعته امرأة من صف النســـاء (قيل أنها قرشية ، وقيل أنها امرأة طويلة فى أنفها فطس بما يعنى أنها زنجية او حبشية) بدليل من قوله تعالى «•• وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا» (النساء — ٢٠) فقال عمر أصابت امرأة واخطأ عمر•• اللهم أغفر لكل انسان افقه من عمر •• أيها الناس انى كنت نهيتكم أن تزيدوا فى مهور النساء صدقاتهن عن أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب وطابت نفسه فليفعل • (٤ ، ص٢٩ك ، ١٣٠)، ، ٢١ م ج ٢ ص ٣٢٨) •

هذا الموقف من عمر له دلالات متعددة تشمل أصول المنهج العلمى، وديموقراطية العلم حيث تشارك النساء فى تداول ومدارسة الامور العامة فى الاماكن العامة ، ويقظة الرعية فى مراجعة الحاكم ، وتقبل الحاكم الحكم الذى يتفق مع التعاليم الالهية ، والرجوع الى الحق

واعلانه على الملأ واعطاء كل صاحب علم حقه من التكريم ، والتواضع لله تعالى والرعيـــة .

٤/٢/٣ السلوك الادارى والقـــدوة :

فى مثال الشورى لعمر بينا جانبا هاما من السلوك الادارى والقدوة الحسنة فى المنهج الاسلامى . فقد عرفت الوظائف ـــ كبيرها وصغيرها ـــ فى الفكر الاسلامى كخدمة عامة لتلبية حاجات المسلمين ، كما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله «من ولاه الله من أمر المسلمين شيئا فاحتجب عن حاجتهم ، احتجب الله عن حاجته يوم القيامة . كما كان الرسول يحث العمال على حسن الآداء بقوله «ان الله يحب اذا أحدكم عملا أن يتقنه» (٣٢ ، ص ٥٩) .

وقد بذل عمر بن الخطاب جهدا كبيرا فى توجيه عماله بفكره الادارى ومتابعة أعمالهم وعزل من لايصلح منهم وتوليه الأفضل ، وقد وضع أساسا للعمل العام أنه لا يجوز اغناء أفراد بافقار امه او اسعار فئة باشقاء مجموع . (٤٢ ، ص ١٢٢ ، ٢٢٨) .

وكتب عمر لعماله فى مناسبات مختلفة : «أما بعد فالزم الحـق يبين لك الحق منال أهل الحق يوم لايقتص الا بالحق والسلام » ، «أما بعد فان أسعد الرعاة من سعدت به رعيته وان اشقى الرعاة من شقيت به رعيته ، واياك أن ترتع فترتع رعيتك فيكون مثلك من ذلك مثل البهيمة اذا نظرت الى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبغى بذلك السمن وانما حتفها فى سمنها» ، «من خلصت نيته كفاه الله مابينه وبين الناس ومن تزين للناس بغير مايعلمه من قلبه شـــانه الله» ، «لاتؤخر عمل اليوم لغد فتدال عليك الأعمال فتضيع ، وان للناس نفرة عن سلطانهم أعوذ بالله أن تدركنى واياكم ، وضغائن محمولة ودنيا مؤثرة وأهواء متبعة» ، «حاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة.. تذكر ماتواعظ به لكيما تنتهى عما تنهى عنه وتكون عند التذكرة من

أولى النهى » ، «ان لكم معشر الولاة حقا على الرعية ولهم مثل ذلك، فانه ليس علم أحب الى الله ولا أعم نفعا من حلم أمام ورفقه ، وانه ليس جهل أبغض الى الله ولا أعم ضررا من جهل امام وخرقة» (٤ ، ص ص ١١٢ ـــ ١١٥) .

ويعتبر كتاب على بن أبى طالب الى مالك بن الحارث حين ولاه مصر دستورا فى السلوك الادارى حيث تضمن كثيرا من المبـــادىء الادارية التى استخلصها باعمال فكره فى آيات القرآن وفيما تعلمه فى مدرسة النبوة التى تربى فيها ونشأ على تعاليمها . وتتضمن هذه المبادىء السلوكية تقوى الله تعالى والرحمة والحب والتواضع مـع العاملين ، والعدل والانصاف وسرعة الثواب والعقاب ، وتخفيف أعباء العمل وعدم الاكراه عليه ، وتفهم نوعيات العاملين وتحقيق حاجاتهم، وتفهم مميزاتهم وقدراتهم والاستفادة منهم ، والاكثار من المشاورة والاستشارة (١٥ ، ص ص ٥٩٩ ـــ ٦٢٥) .

كما يذكر كتاب طاهر بن الحسين فى الفكر الادارى الاســلامى بأنه من أجمع الكتب التى تناولت الادارة وجوانبها ، وقد كتبه لابنه عبد الله بن طاهر عندما ولاه الخليفة المأمون قيادة الجيش . وعندما علم المأمون بأمر هذا الكتاب وقرىء عليه أمر أن يكتب مافيه الى جميع العمال فى جميع نواحى الأعمال . (٤٢ ، ص ٢٢٣ ـــ ٢٢٨) .

٥/٢/٣ أجور الولاة والعمال :

راعى الرسول عليه الصلاة والسلام فى تقرير الأجور والرواتب تأمين نفقات العامل وعائلته مع أختلاف درجات الأجر تبعا للعمـل ، وهو فى ذلك مجتهدا من قوله تعالى «ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون» (الأحقاف ـــ ١٩) . وكان عليه الصـلاة والسلام يعطى المتزوج ضعف الاعزب ويوفر للعامل المسكن ووسيلة التنقل ويساعده على الزواج اذا لم يكن كذلك . ويؤثر عنه قـــوله

«من ولى لنا عملا وليس له منزلا فليتخذ منزلا أوليس له زوجة فليتزوج أوليس له دابة فليتخذ دابة» (٣٢ ، ص ٥٩) •

وقدر عمر أجور العمال بالشهر وبعضهم باليوم • وطلب أحد عماله من ذوى اليسار أن تكون عمالته صدقة للمسلمين فلا يأخذ عليها أجرا ولكن عمر أبى ذلك وقال له «لاتفعل فانى كنت أردت ذلك فقال لى الرسول صلى الله عليه وسلم ، « خذه فتموله وتصدق به» واجتهد عمر فى صيانة عماله من التعرض للمؤثرات الخارجية ففرض لهم جرايات (علاوة) عن الأجر الأصلى لتحميهم من الرشاوى والمصانعات (٤٢ ، ص ص ، ٢٢٢ — ٢٢٨) •

واشتهر الخليفة عثمان بن عفان بالجود والتوسعة على عماله وحثهم على ذلك فى أقانيهم وساعده على ذلك كثرة المال فى عهده مع اتساع الدولة وزيادة خراجها فكان بذلك أحب الى المسلمين من عمر الذى كان بسبب زهده لايستطيع عماله الا أن ينهجوا منهجه • وقد أوصى على بن أبى طالب فى كتبه الى عماله باسباغ الأوراق على العمال لأن فى ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن ماتحت أيديهم وحجة عليهم ان خالفوا أوامره فى النزاهة والتقوى (المرجع السابق ، نفس الصفحات) •

٦/٢/٣ الرقابة والحسبة :

على الرغم من أن العمال كانوا يختارون ممن اشتهروا بصدق العزيمة وقوة الايمان ومراقبتهم لله ايمانا بأنه الرقيب عليهم ، فان الرسول وخلفائه لم يتركوهم وشأنهم فيما يفعلون ، بل كانوا يشرفون عليهم ويوجهونهم ويراقبون تصرفاتهم ويحاسبونهم عليها • فكان الرسول عليه الصلاة والسلام يحاسب العمال على المستخرج والنفوق، وعندما حاسب أحد العمال على الصدقات وقال له العامل « هذا لكم

وهذا أهدى الى »، كان رد الرسول صلى الله عليه وسلم (ما بال الرجل نستعمله على العمال بما ولانى الله فيقول هذا لكم وهذا أهدى الى أفلا قعد فى بيت أبيه وأهله فينظر ايهدى اليه ام لا وقال « من استعملناه على عمل ورزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول (أى خيانة) •» (٣٢ ، ص ٦٣) •

ووضع عمر نظاما للرقابة بأن ولى رقيبا على كل عامل فى الولايات، واذا بلغته شكاة بعث من يستقصى أسبابها وظروفها ، وكان يحصى أموال من يريد توليتهم ليجعلها أساسا لمحاسبتهم فيما يطرأ عليها من زيادة غير شرعية تكون قد نتجت أثناء الوظيفة وسببها • واذا قدم العمال من الولايات الى المدينة طلب منهم أن يدخلوها نهارا حتى يرى ما أحضروا معهم من الاموال فلا يحتجزوا منها شيئا • وعند تولية العامل يوصيه عمر بتقوى الله واصلاح أحوال الرعية ، ويكتب عليه كتابا يشهد عليه رهطا من الأنصار ألا يلبس رقيقا أو يقفل بابه دون حاجات الناس ثم يقول اللهم فاشهد • وكان ينصح عماله بقوله : «اياكم والهدايا فانها من الرشا (أى الرشوة) (٤٢ ، ص ص ٢٢٣ — ٢٢٨) •

واجتهد ابن تيمية فى عصره فى حل مشكلة الهدية للحكام والتفرقة بينها وبين الرشوة وكان منهجه فى بحث المشكلات أنه يعتمد على الفهم العميق لكتاب الله وماصح عنده من أحاديث الرسول وسنته ، ووسليتة فى ذلك قلب واع وعقل مفكر ناقد ، كما كان يعتمد على آراء الصحابة، وقد يحتج أحيانا بأقوال التابعين مستأنسا بها محكما عقله فيما يطرحونه من حجج فى الجدل والمناظرة • وكان فى كل ذلك يأخذ بأصل المصالح المرسلة • كما فعل الصحابة فى كثير من أحكامهم وآرائهم • كما كان مذهبه فى الأحكام أن يستدل أولا ثم يعتقد ثانيا ما أداه اليه الدليل الذى يحقق المصلحة أويدفع الضرر • (٥٣ ، ص ص ١٢٠ — ١٢٩ ، ص ٢١٤) •

وقد توصل ابن تيمية من بحثه لقضية الرشوة التى قال فيها صلى الله عليه وسلم «لعن الله الراشى والمرتشى» ، أن من أهدى شيئا لواحد من العمال لينال مالايحق له كان ذلك من الرشوة التى ينطبق عليها حديث الرسول • أما من يفعل ذلك ليكف ظلمه عنه أو ليعطيه حقه الواجب جازله ذلك ولكنها تكون حرما على الآخر • واستدل على ذلك بالآية القرآنية : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون) (البقرة — ١٨٨) وبقول الرسول عليه الصلاة والسلام «انى لأعطى أحدكم الهدية فيخرج بها نارا يتأبطها » قيل يارسول الله فلم تعطيهم ، قال يأبون الا أن يسألونى ويابى الله لى البخل» • وهذا هو حكم ابن تيمية أيضا فى الهدية للشفاعة مثل أن يشفع لرجل عند ولى أمر ليرفع عنه مظلمه أو يوصل اليه حقه أو يوليه ولاية يستحقها (٥٣ ، ص ص ١٢٤ — ١٢٩ ، ص ١٥٩) •

وبالاضافة الى الرقابة على العمال كانت توجد أيضا رقابة الرعية على من يقومون على شئونهم • وفى ذلك قول أحد الرجال لعمر «اتق الله يا أمير المؤمنين » ، ولما رده عن ذلك أحد السامعين ، قال عمر قولته التى نبعت من خشيته وتقواه لله «دعه فليقلها لى نعم ما قال، لاخير فيكم اذا لم تقولوها ، ولاخير فينا اذا لم نقبلها منكم • كما سئل عمر لم لم يجعل لابنه الحق فى الخلافة من بعده فقال : «بحسب آل الخطاب أن يسأل واحد فيهم يوم القيامة عن أمور المسلمين » وقد كان قوله هذا من تدبره لقول الحق تعالى «ان الله كان عليكم رقيبا» (٣٢ ، ص ٦٤ ، ٦٥) •

ومن الوظائف المرتبطة بالرقابة فى الفكر الادارى الاسلامى ولاية المظالم وهى نوع من القضاء الادارى للادعاء والشكوى من الولاة والعمال • وقد نظر الرسول صلى الله عليه وسلم فى المظالم بنفسه ،

ولم يلجأ اليها الخلفاء الراشدون واقتصروا على أحكام القضاء للفصل فى مخالفات العمال ومظالم الرعية • واحتاج خلفاء بنى أمية الى هذه الوظيفة عندما سادت المظالم من الولاة والعمال ، وأول من طبقها منهم عبد الملك بن مروان حيث خصص يوما للنظر فى المظالم وتلاه فى ذلك عمر بن عبد العزيز • وفى العصر العباسى تطور مجلس المظالم ليتكون من خمسة أنواع من المتخصصين لحل مشاكل الرعية مع الحكام وهم : حماة الامن لتقديم المشكو منه ، والقضاة والحكام لاستعلام مايثبت عندهم من الحقوق ، ومعرفة مايجرى فى حكمهم من الدعاوى وأسبابها ، والفقهاء ليرجع اليهم فيما أشكل ليضعوا الفتوى باجتهادهم والكتاب ليثبتوا وقائع ومحاضر المظلمة والحكم فيها ، والشهود لاشهادهم على الحكم (١٢ ، ص ٧١ وما بعدها) ، (٢ ، ص ٢٩٠ ،ص ص ٣١٣ — ٣١٥) •

وتعتبر وظيفة الحسبة وسطا بين القضاء والمظالم ، وهى تطبيق للنص القرآنى «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (النساء — ٧١) • وتتم وظيفة الحسبة بواسطة المحتسب تطوعا بدون أجر أو يخصص لها عمال بتكليف من ولاة الأمور • وقد اطلق عليها هذا الاسم اشتقاقا من فعل الشىء احتسابا عند الله تعالى •

ويلخص بن تيمية وظائف المحتسب فى أنه يأمر بالجمعه والجماعات وبصدق الحديث وأداء الأمانات وينهى عن المنكرات من الكذب والخيانة وما يدخل فى ذلك من تطفيف المكيال والميزان والغش فى الاسواق فى الصناعة والبيع • وتقترن قواعد الحسبة بتحديد العقوبات التى تكفل تنفيذ أوامر المحتسب استنادا الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم «ان الله يزع بالسلطان مالايزع بالقرآن» • وكان الرسول يقوم بذلك بنفسه أحيانا فيمر بالأسواق وينهى عن الغش • كما ولى سعيد بن

العاص على السوق بعد فتح مكة • كذلك كان الخلفاء الراشدون يتولون أمر السوق أو يولون عليه من يقوم بمراقبته وفى عهد عمر بن الخطاب تولت امرأة تدعى الشفاء هذه الوظيفة • (٣ ، ص ٦٣١ ، ٦٣٢) ، (٢٣ ، ص ص ٢٤٠ — ٢٥٩) •

وبتطبيق وظيفة الحسبة تقوم الدولة الاسلامية بواجبها فى مجال الأخلاق والدين والاقتصاد تحقيقا للعدل والفضيلة ، وفقا للمبادىء الأساسية المقررة فى الشريعة الاسلامية والعرف الذى يتغير فى كل بيئة بتغير الزمان والمكان •

رابعا : التوصيات

فى ضوء نتائج البحث توصى الباحثة بما يلى :

٤ — ١ توصيات للمسئولين عن نظم التعليم والبحث العلمى :

١/١/٤ الالتزام بتدريس القرآن الكريم كاملا والصحيح من الحديث النبوى الشريف فى مراحل التعليم المختلفة مع التأكيد على استخراج منهجهما العلمى فى بحث الظواهر والمشكلات •

٢/١/٤ تشجيع تأليف ونشر وتدريس كتب التفسير المبسطة والمتقدمة التى توضح حقائق العلوم الطبيعية والاجتماعية وتطبيقاتها فى الواقع بحيث تقدم لدار العلوم المختلفة معطيات الدين والعلم والواقع فى اطار واحد •

٣/١/٤ تكوين فرق البحث الجماعى بما يحقق أسلوب عمل الفريق فى البحث العلمى حتى تتكامل الحقائق بأقل قدر من المشقة على الباحثين فى تخصصاتهم المختلفة •

٤/١/٤ توفير شبكة كاملة من الاتصالات بالوسائل المختلفة بين الباحثين واعلان وتطبيق نتائج بحوثهم •

٥/١/٤ تضمين الصفات النموذجية للعالم الحق فى برامج تدريب الباحثين فى كل المجالات •

٤ — ٢ توصيات للباحثين :

١/٢/٤ تذكر الله سبحانه وتعالى واهب العلم واخلاص النية فى كل مراحل عملية البحث •

٢/٢/٤ مدارسة نصوص الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة واستلهام ما فيها من اشارات ومسلمات وتوجيهات تفيد عملية البحث • والتعرض المستمر لنور هذه النصوص •

٣/٢/٤ قراءة وتجميع وتحليل كل مايساعد على فهم الظاهرة المراد بحثها أو المشكلة المراد حلها بصورة متكاملة •

٤/٢/٤ استقراء الواقع بأفضل الأدوات والمقاييس المتاحة للكشف عن العوامل والمتغيرات المتضمنة فى الواقع محل الظاهرة أو المشكلة •

٥/٢/٤ التعاون الكامل مع الباحثين فى كل المجالات الأخرى المرتبطة بالبحث •

٦/٢/٤ الصبر وعدم اليأس أمام المعوقات أو المشقة فى التوصل الى نتائج البحث •

٧/٢/٤ اعلان وتطبيق ما يتم التوصل اليه من نتائج فيما يحقق الرفاهية للانسان بصفة عامة ، وعدم التعصب أو التحيز لأية مصالح فردية أو طبقية أو عنصرية •

٨/٢/٤ المراجعة المستمرة لما تحقق من معرفة عملية مع المقارنة بالتفسيرات المتجددة فى المعرفة الدينية •

المراجـــــع

(١) القرآن الكريم والتفاسير .

(٢) ابراهيم ، حسن وآخرون ، النظم الاسلامية (الطبعة الرابعة ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٥) .

(٣) ابن حزم ، أبى محمد على بن سعد ، المحلى (القاهرة : مكتبة الجمهورية العربية ، ١٩٧٠) .

(٤) ابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن (٥١٠ — ٥٩٧ هـ) سيرة عمر بن الخطاب (القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، بدون تاريخ)

(٥) ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون (القاهرة ... دار المعارف ، بدون تاريخ) .

(٦) أبو القيضى ، السيد محمود ، وحدة الدين والفلسفة والعلم — المجلد الأول (القاهرة : دار العهد الجديد للطباعة ، بدون تارخ)

(٧) أبو حمدان ، محمد ، الفلاسفة والفكر الاسلامى (القاهرة : دار الكتاب المصرى ١٩٧٨) .

(٨) أبو حمدان ، محمد ، طرق الفكر — الاستقراء (القاهرة : دار الكتاب المصرى ، ١٩٧٨) .

(٩) أبو حمدان ، محمد ، طرق الفكر — الاستنباط (القاهرة : دار الكتاب المصرى ، ١٩٧٨) .

(١٠) اسماعيل ، محمد عماد الدين ، المنهج العلمى لتفسير السلوك (القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٧٠) .

(١١) أمين ، أحمد ، ضحى الاسلام (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠) .

(١٢) البخارى ، أبو عبد الله محمد ابن اسمايل ، صحيح البخارى الجزء الأول (القاهرة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٣٨٦هـ) .

(١٣) الجندى ، محمد عبد الحليم ، القرآن والمنهج العلمى المعاصر (القاهرة : دار المعارف ، ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م) .

(١٤) الرازى ، محمد أبى بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح . عنى بترتيبه محمود خاطر (القاهرة : المطبعة الأميرية ، ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥م) .

(١٥) الرضى ، الشريف ، نهج البلاغة للامام على بن أبى طالب بشرح الامام محمد عبده (الطبعة الاولى ، بيروت : دار البلاغة ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م) .

(١٦) السلمى ، على ابراهيم ، الأسلوب العلمى فى البحثووث الادارية (القاهرة : نفس المؤلف ، ١٩٧٠) .

(١٧) الشافعى ، محمد بن ادريس ، الرسالة — تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر (الطبعة الأولى ، القاهرة : مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٥٨هـ — ١٩٤٠م) .

(١٨) العقاد ، عباس محمود ، عبقرية عمر (القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر) .

(١٩) الغزالى ، أبو حامد بن محمد ، احياء علوم الدين — الجزء الأول (الطبعة الأولى ، بيروت : دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون تاريخ) .

(٢٠) الغزالى ، أبو حامد بن محمد ، احياء علوم الدين — الجزء الثالث (الطبعة الأولى ، بيروت : دار القلم للطباعة والتوزيع ، بدون تاريخ) .

(٢١) الكتانى ، عبد الحى ، نظام الحكومة النبوية المسمى الترتيب الادارية (بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٨٢) .

(٢١) الغزالى ، أبو حامد بن محمد ، المقصد الآسنى فى شرح أسماء الله الحسنى . دراسة وتحقيق محمد عثمان (القاهرة : مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، بدون تاريخ) .

(٢٢) الماوردى ، أبو الحسن (٤٥٠هـ) الأحكام السلطانية والولايات المدنية (الطبعة الثانية ، القاهرة : مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٩٦٧) .

(٢٣) المبارك ، محمد ، الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية (الطبعة الاولى ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٦٧) .

(٢٤) المعرفة ، موسوعة عالمية صدرت فى ايطاليا عام ١٩٥٧ — ترجمتها الى العربية مؤسسة الاهرام . القاهرة ، ١٩٧١ .

(٢٥) المودودى ، أبو الأعلى ، نظرية الاسلام وهدية السياسى (بيروت : دار الفكر ، ١٩٦٧) .

(٢٦) الموسوعة العربية الميسرة ، اشراف محمد شفيق غربال (القاهرة: دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ١٩٥٩) .

(٢٧) النشار ، على سامى ، مناهج البحث عند مفكرى الاسلام واكتشاف المنهج العلمى فى العالم الاسلامى (الطبعة الرابعة ، ألقارة : دار المعارف ، ١٩٧٨) .

(٢٨) النووى ، أبو زكريا محمد بن شرف ، رياض الصالحين — مراجعة محمد أنور البلتاجى (القاهرة : دار التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م) .

(٢٩) الوردى ، على ، مهزلة العقل البشرى (بغداد : مطبعة الرابطة ، ١٩٥٥م) .

(٣٠) بدوى ، عبد الرحمن ، مناهج البحث العلمى (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٣) .

(٣١) بدوى، عبد الرحمن ، منطق أرسطو (بيروت : دار العلم ، ١٩٨٠) .

(٣٢) بحوث معهد الادارة العامة ، «الادارة فى الاسلام» ، اشراف د. محمد عبد المنعم خميس ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

(٣٣) بوكاى ، موريس ، دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة — ترجمة دار المعارف (الطبعة الرابعة ، القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٧) .

(٣٤) تارسكى ، ألفريد ، مقدمة للمنطق ولمنهج البحوث فى العلوم الاستدلالية — ترجمة د. عزمى اسلام ، مراجعة د. فؤاد زكريا (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠) .

(٣٥) جلال ، محمد أبو سعاد ، التعريف بعلم أصول الفقه (القاهرة : الاتحاد الدولى للبنوك الاسلامية ، بدون تاريخ) .

(٣٦) دالين ، ليوبولد فان ، مناهج البحث فى التربية وعلم النفس — ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون ، مراجعة سيد أحمد عثمان (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٩) .

(٣٧) ديكنسون ، جون . ب، العلم والمشغلون بالبحث العلمى الحديث — ترجمة شعبة الترجمة باليونسكو (الكويت : سلسلة عالم المعرفة شهرية ، شعبان ١٤٠٧ هـ — ابريل ١٩٨٧) .

(٣٨) رمضان ، محمد وعليان ، محمد عبدالفتاح : مذكرات فى السيرة النبوية (القاهرة : كلية الدراسات الاسلامية — جامعة الأزهر، بدون تاريخ) .

(٣٩) شريف ، عمر ، مذكرات فى نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية (القاهرة : لجنة التأليف والنشر ، ١٩٦٧) .

(٤٠) طبلية ، القطب محمد القطب ، الوسيط فى النظم الاسلامية — الاسلام والدولة (القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٨٢) .

(٤١) عبد ، الباقى ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (القاهرة : مطابع الشعب ، بدون تاريخ) .

(٤٢) على ، محمد كرد ، الاسلام والحضارة العربية — الجزء الثانى (الطبعة الثالثة ، القاهرة : لجنة التأليف والنشر ، ١٩٦٧) .

(٤٣) عمار ، حماد ، المنهج العلمى فى دراسة المجتمع — وصفه وحدوده (القاهرة : نفس المؤلف ، بدون تاريخ) .

(٤٤) عناية ، غازى حسين ، مناهج البحث (الاسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٤) .

(٤٥) عيسى ، محمد طلعت ، البحث الاجتماعى — مبادؤه ومناهجه (الطبعة الثالثة ، القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة) .

(٤٦) محمود ، زكى نجيب ، أسس التفكير العلمى (القاهرة : دار المعارف — سلسلة كتابك العدد ٤ ، ١٩٧٨) .

(٤٧) محمود ، زكى نجيب ، برتراند راسل ، (القاهرة : دار المعارف، بدون تاريخ) .

(٤٨) محمود ، زكى نجيب ، جابر بن حيان (القاهرة : وزارة الثقافة والارشاد القومى ، سلسلة أعلام العرب ، ١٩٦١) .

(٤٩) محمود ، زكى نجيب ، هذا العصر وثقافته (الطبعة الثانية ، القاهرة: دار الشروق ، ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م) .

(٥٠) مخلوف ، محمد حسانين ، كلمات القرآن — تفسير وبيان (القاهرة: دار المعارف ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م) .

(٥١) مرسى ، جلال محمد عبد الفتاح ، منهج البحث عند العرب فى مجال العلوم الطبيعية والكونية (بيروت : دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٨٢) .

(٥٢) معجم أعلام الفكر الانسانى ، المجلد الاول ، تصدير د. ابراهيم مدكور (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤) .

(٥٣) موسى ، محمد يوسف ، ابن تيمية ، سلسلة الأعلام — ١٧ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧) .

(54) Davies, Hansel, An Out-line of the Development of Scifnce (London, C. A. Watts and Co., Ltd, 1974).

(55) Emory, C. William, Business Research Methods (Illinois, Richard D. Irwin, Inc., 1980).

(56) Weiner, Philiph, Readimgs in Philosophy of Science (New York, Charles Scribners Sons, 1953).

محتـــويات العـــدد

الصـــفحة

* **أحكام المعاهدات فى الشريعة الاسلامية**

للدكتور وهبة الزحيلى ١ — ٥٦

* **القانون الدولى لحقوق الانسان**

للدكتور جعفر عبد الســـلام ٥٧ — ٨٢

* **مقارنات فى زكاة الاموال الحولية**

للدكتور مصباح المتولى السيد حماد ٨٣ — ١٦٠

* **ملكية الاراضى فى الشريعة**

أبان الفتوحات الاسلامية

للدكتور محمد حسن أبو يحيى ١٦١ — ٢٢٤

* **أصول منهج البحث العلمى فى القرآن**

ونماذج من تطبيقه فى الفكر الادارى الاسلامى

للدكتورة حنـــان النجار ٢٢٥ — ٣١٩